الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة و الأدب العربي

السلالم الحجاجية في خطاب "الموطأ"

لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة.

إعداد الطالبتين:
- رقية بادي.
- رميصة صحراوي.

إشراف :
أ. د. لزهر كرشو .

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
عبد الرؤوف عباس	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	رئيسا
لزهر كرشو	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مشرفا
علي زيتونة مسعود	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مناقشا

الموسم الجامعي:1444-1445هـ/ 2023-2024م.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة و الأدب العربي

السلالم الحجاجية في خطاب "الموطأ"

لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة.

إعداد الطالبتين:
- رقية بادي.
- رميصة صحراوي.

إشراف :
أ. د. لزهر كرشو.

الموسم الجامعي: 1444-1445هـ/ 2023-2024م.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ أَلَم تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إبراهيم فِي رَبِّهِۦٓ أَن ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

(البقرة:258)

الشكر والعرفان

جاء في حديث المصطفى ﷺ

«من لا يشكر الناس لا يشكر الله»

فنشكر ونحمد الله الذي أنعم علينا بفتح أبواب رحمته

وعلى توفيقه لنا في السعي وراء طلب العلم والاستزادة منه

وصل اللهم على رسولك الكريم .

نتقدم بخالص شكرنا وامتناننا لدكتورنا الفاضل

" لزهر كرشو "

الذي أشرف على هذا البحث وعلى كل توجيهاته و نصائحه طوال فترة هذه

الدراسة .

مقدمة

الحمد لله الذي أرشد الإنسان وعلمه ما لم يعلم وميزه بين سائر الخلق بالنطق وأكرمه بنعمة الفهم، وخصه بالعقل لإدراك المدركات وفهم حقائق الكائنات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد أفصح من نطق بالضاد والشفيع يوم التّناد وعلى آله وصحبه الأخيار الأبرار.

أما بعد: نزل القرآن الكريم مخاطبًا العقول والقلوب، واقتفى الحديث النبوي الشريف أثر القرآن في ذلك لقد كان نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم يخاطب عقولًا مختلفة متفاوتة في أنماط تفكيرها ونفوسا تختلف أهواؤها مع ذلك استطاع النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة حججه، وفي مقامات مختلفة أن يؤدي مهمته التبليغية، التي بعثه بها الله تعالى، وارتضاه للبشر دينا.

وقد جمع الإمام مالك – رحمه الله – هذا الإرث النبوي العظيم من أحاديث وآثار عن الصحابة والتابعين في "الموطأ"، الذي كان كتاب حديث وفقه وحجة في الدين مصاغًا بأسلوب دقيق، ولغة سلسة، معتمدًا فيه على خاصية الحجاج الذي يعد وسيلة من وسائل الإقناع وعليه يمكن أن نعتبر كتاب الموطأ خطابًا حجاجيًا بامتياز فهو يقدم الحجج بمستويات مختلفة وهي خاصية من خصائص الخطاب الإقناعي.

وتكمن أهمية الخطاب الحجاجي فيما يولده من إقناع لدى المتلقي مما يؤكد أن اللغة ليست أداة للتعبير فقط وأن لها وظيفتها الحجاجية، وعليه فالخطاب الحجاجي يتوفر على مجموعة من الآليات اللغوية، والبلاغية، وشبه المنطقية؛ وهذه الأخيرة من بين وسائلها السلم الحجاجي؛ الذي يعتمد أساسًا على التراتبية في وضع الحجج وتوجيهها، وتكمن أهميته في ترتيبها من حيث القوة والضعف، وفق معطيات متعددة وقد كان خطاب الموطأ مسخرًا لآليات متنوعة لإحداث التأثير والإقناع، من أجل ذلك جاءتنا الفكرة لاختيار هذا الموضوع لمعرفة تراتبية الحجج في خطاب الموطأ وبناء عليه جاء بحثنا **موسومًا ب:"السلالم الحجاجية في خطاب الموطأ لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي"**.

ومن الدوافع التي جعلتنا نختار هذا الموضوع:

- منزلة الحديث النبوي الذي نقل إلينا السنة النبوية شارحا ومفصلا للأحكام والقواعد الأساسية مبينة للمعاني والمقاصد الحقيقية للقرآن الكريم.
- الرغبة في تطبيق أحد الآليات الحجاجية على "موطأ الإمام مالك" والاستفادة من مستوى لغته الرفيعة والعليا.
- أن الحجاج أصبح مطلبًا أساسيًا في كل عملية اتصالية تبلغية مما جعله يمتد إلى كافة المجالات: الثقافية والاجتماعية و السياسية...إلخ.

وتكمن إشكالية هذا البحث في محاولتنا للإجابة عن مجموعة من الأسئلة انطلاقا من إشكالية عامة و المتمثلة في:

- **ما طبيعة السلالم الحجاجية الموظفة في خطاب الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي؟ وما توجيهها المقصود حجاجيا؟**

وقد تفرعت هذه الإشكالية إلى أسئلة إجرائية أهمها :

- ما المقصود بالسلالم الحجاجية؟
- وما هي قوانينها؟
- وفيما تتمثل وسائلها ومستوياتها؟
- وإذا كان خطاب الموطأ خطابًا حجاجيًا فكيف يمكن تحديد معانيه الحجاجية من خلال السلالم الحجاجية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج الوصفي المشفوع بالتحليل الحجاجي وفق المقاربة التداولية بوصفها الحاضنة المعرفية للحجاج عمومًا.

ومن أجل الإحاطة بموضوع دراستنا وضعنا خطة تمكننا من التحكم فيه وتساعدنا على تحقيق الأهداف المرجوة فقسمنا هذا العمل الى:

مقدمة: فيها مهدنا للموضوع، وعرفنا بموضوع (السلالم الحجاجية في خطاب الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي)، وطرحنا إشكالية البحث، وبينا أسباب اختيار الموضوع، وهدفه، وأهميته، والمنهج المتبع في الدراسة.

الفصل الأول: موسوم ب: (الإطار المفاهيمي للبحث) تناولنا فيه أولا: الحجاج ثانيا: السلالم الحجاجية.

الفصل الثاني: موسوم ب: (سلالم الموضوعات في كتاب الموطأ) وطرحنا فيه أولا: التعريف بالإمام مالك، ثانيا: التعريف بالموطأ، ثالثا: تراتبية المعاني العامة وتطبيقاتها في خطاب الموطأ، رابعا: تراتبية المعاني المقيدة في خطاب الموطأ.

أما الخاتمة فكانت عبارة عن ملخص لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال موضوع بحثنا.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع،أهمها:

- الإمام مالك (الموطأ) تحقيق طه عبد الرؤوف.
- أبو بكر العزاوي (اللغة والحجاج).
- طه عبد الرحمن (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي).
- لزهر كرشو (تقانة التحليل الحجاجي للخطاب).

مما لا شك فيه لقد لقيت هذه الدراسة صعوبات جمة من أبرزها: صعوبة الحصول على بعض المصادر و المراجع، وتداخل موضوع الحجاج مع معارف أخرى.

وفي الختام نشكر الله تعالى الذي وفقنا على إتمام هذا البحث المتواضع، ثم نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور " لزهر كرشو" الذي ساعدنا بتوجيهاته الدقيقة المفيدة وكان خير عون لنا.

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي للبحث

توطئة

أولا: الحجاج

1. مفهوم الحجاج
2. الحجاج والبرهان والاستدلال
3. الحجاج بين الدراسات القديمة والحديثة
4. التداوليات المدمجة

ثانيا :السلالم الحجاجية

1. مفهوم السلالم الحجاجية
2. قوانين السلالم الحجاجية
3. وسائل السلالم الحجاجية
4. مستويات السلم الحجاجية

توطئة

يعتبر الحجاج عاملاً مهمًا في كل النصوص الأدبية على اختلافها؛ فالشاعر يحتاج إلى المحاجة والإقناع، والخطيب يعتبره ركيزة أساسية يبني عليها خطبه والأهداف المتوخاة من وراء تلك الخطب كالتأثير أو النصح والإرشاد وغيرها من الأسباب التي ترتبط بالخطبة والمقام الذي وردت فيه، ونظرًا لما لفن الخطابة من أهمية ، فإن مسألة الحجاج آخذت حيزًا واسعا في جل الفنون الأدبية اللاحقة لارتباطها ارتباطا وثيقا بالمخاطب وسبل إقناعه، وقبل أن نتطرق للنظرية الحجاجية ومقوماتها في التراثين العربي والغربي، وجب علينا أن نقف أولاً عند تعريف الحجاج حتى يتشكل لنا تصور واضح عنه.[1]

أولا: الحجاج

1. مفهوم الحجاج:

أ. الحجاج في اللغة:

وردت عدة مفاهيم للحجاج في المعاجم والقواميس اللغوية سواء عربية أو الأجنبية نذكر منها ما يلي :

قد حدّ "ابن سيّده" (ت458ه) الحجاج بقوله :« حَاجَجْتُه أحَاجُّهُ حِجَاجًا مُحَاجَّةً مِنْ حَجَجْتُهُ بِالْحُجَجِ الَّتِي أُدْلِيْتُ بِهَا، وَالْحُجَّة الْبُرْهَانِ، وَقِيْلَ الحجَّة مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ، وَقَالَ "الْأَزْهَرِيُّ": الحُجَّة الوجه الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ ، وجمع الحُجَّة حُجَجٌ وَحِجَاجُ ،وَحَاجَّه مُحَاجَّةً وَحِجَاجًا نَازَعَهُ الْحُجَّةَ وَحَجَه بِحُجَّة حَجًّا غَلَبَه عَلَى حُجَّتِهِ، وَفِي الْحَدِيث: « فَحَجَّ أَدَمُ موسى » أي غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ، وَاحْتَجّ بِالشَّيْء اتَّخَذَه حُجَّة. وقال الأزهري : إنَّمَا سميت حُجَّة لِأَنَّهَا تُحَجُّ أَيْ تقصد؛ لِأَنّ القصد لها وإليها».[2] نلاحظ من خلال هذا التعريف أن الحجاج عند "ابن سيده" ارتبط بلفظة (الحجة)، وهي بمعنى البرهان.

[1] ينظر: لعلاونة محمد الأمين، مبادئ في الدرس الحجاجي، دار المجدد للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، (د ت)، ص4.

[2] ابن سيّده ،المحكم والمحيط الأعظم ، تح :عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية ، لبنان، دط ،(مادة حجج)229/1 .

وعرف "الجرجاني" (ت 618هـ) الحجة فقال :« الْحُجَّةُ مَا دَّل به عَلَى صِحَّةِ الدَّعْوَى، وَقِيلَ الْحُجَّةُ وَالدَّلِيلُ وَاحِدٌ.»[1]من خلال هذا التعريف يتضح أن الحجة عنده بمعنى الدليل.

أما في لسان العرب "لابن منظور" (ت711هـ)« يُقَال حَاجَجْتُهُ أَحَاجُّهُ حِجَاجًا وَمُحَاجَة حَتَّى حَجَجْتُه؛ أَيْ غَلَبْتُهُ بِالْحُجَجِ الَّتِي أَدْلَيْتُ بِهَا ... وَيُقَال حَاجَه مُحَاجَة وَحِجَاجًا نَازَعَهُ الْحُجَّةَ ... وَيُقَالُ أَنَا حَاجَجْتُه فَانَّا مُحاجُّة وَحَجَّيجه؛ أَيْ مُغالَبه بِإِظْهَار الْحَجَّةِ الَّتِي تَعْنِي الدَّلِيل وَالْبُرْهَان. »[2] فابن منظور حذا حذو ابن سيده في مفهومه للحجاج فالحجة عنده بمعنى البرهان والدليل.

ونجد في اللغة الفرنسية –على سبيل المقاربة – لفظة «Argumentation» تشير إلى عدة معاني مقاربة للمعاني في اللغة العربية، فحسب قاموس روبير " Le Robert " هو : « القيام باستعمال الحجج، أو مجموعة من الحجج، التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة،أو هو فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة»[3].

وفي القاموس ذاته نجد « Argumenter» تشير إلى: «الدّفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج ،أو عرض وجهة نظر معارضة مصحوبة بحجج». [4]

أما في الانجليزية: « فتشير لفظة "Argue" إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل واحد منها إقناع الآخر بوجهة نظره من خلال تقديم الأسباب أو العلل التي يراها حجة مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما». [5]

---

[1] علي الجرجاني، معجم التعريفات، تر: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د ط، د ت، ص73.

[2] ابن منظور، لسان العرب ،دار صادر، لبنان، ط1، د ت ، (مادة حجج)2/ص228.

[3] الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال حجاجي عناصر استقصاء نظري، مقال، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية، في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، ط1– 2010،(32/3) نقلا عن: Rober t:Dictionnaire de la langue française. Paris.1989.pM23.Le grand

[4] نفسه، ص 23.

[5] حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، لبنان،ط1، 2010، ص 2.

نستخلص مما تقدم أن الحجاج في اللغة لا يعدو عن هذه المعاني الرئيسة : المخاصمة ، المنازعة ، المجادلة ، الغلبة بالحجة.

ب. الحجاج في الاصطلاح :

إن المفهوم الاصطلاحي للحجاج واسع، ومتلبس على الدارسين لتشعب وتعدد مجالاته،و اختلافه من حقل إلى آخر، فهناك المفهوم الفلسفي، والمنطقي، والبلاغي، واللغوي، وهذا التنوع جعله من المفاهيم المثيرة للالتباس التي يصعب حصرها، ومن أبرز هذه المفاهيم نذكر:

ب.1 الحجاج عند بيرلمان وتيتكا :(chaim Perlman et Tyteca) :

يرى هذان الباحثان أن « موضوع نظرية الحجاج درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تجعل العقول تسلم لما يعرض عليها من أطروحات، أو تزيد في درجة ذلك التسليم. » [1]

ويقولان في موضع آخر« غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء، أو تزيد في درجة ذلك الإذعان. فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب أو يجعلهم يمسكون عنه، أو هو ما وفق على الأقل في أن يجعل السامعين مهيئين لإنجاز ذلك العمل في اللحظة المناسبة ».[2]

بمعنى أن الحجاج عند "بيرلمان وتيتكا" يهتم بالتفاعل القائم بين الخطيب والجمهور، فالحجاج عندهم غير الخطابة والجدل في العلاقة الموجودة بينهما.وهو أمرًا ثالثا مفارقا لهما رغم اتصاله بهما، فالحجاج من التعريف الذي قدماه يأخذ من الجدل التمشي الفكري الذي يقود إلى التأثير الذهني في المتلقي، ويأخذ من الخطابة توجيه السلوك أو العمل والإعداد له، لكنه يبقى مختلفا عن الخطابة و الجدل، من زاوية كسره الثنائية التقليدية وجمعه بين النظري و التأثير السلوكي العملي، فهو خطابة جديدة متسعة.[3]

---

[1] عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2010،ص 31.

[2] نفسه، ص 32.

[3] ينظر :عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، الجزائر،العدد9، 2013، ص 271.

ب.2 الحجاج عند طه عبد الرحمن:

يعتبر طه عبد الرحمن من الدارسين العرب الذين عالجوا مسالة الحجاج، وقد عرفه في كتاب (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي)، قائلا: «الحجاج هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»

وهذا يشير إلى أن طبيعة الخطاب الخطاب لا تتحدد في العلاقة التخاطبية وحدها وإنما للعلاقة الاستدلالية أيضا دور في ذلك، فلا خطاب بغير حجاج، ولا مُخاطِب (بكسر الطاء) من غير أن تكون له وظيفة " المدعي" ولا مُخاطَب (بفتح الطاء) من غير أن تكون له وظيفة " المعترض""[1] .

فالحجاج عنده يأخذ نفس الأبعاد الدلالية للاستدلال، وبيان ذلك استناده على القراءة المعجمية، إذ يرى أن الحجاج يأخذ معنى "القصد" ومعنى "الاستدلال" معًا وهو بالذات الفعل "حج" الذي يفيد "قصد" في قولنا :"حج البيت الحرام" كما يفيد غلبه بالحجة في قولنا: "حاجه، فحجه "[2].

ب.3 الحجاج عند أوزفالد ديكرو وأبو بكر العزاوي:

يبرز ديكرو في كتابه (اللغة والحجاج) المشترك بينه وبين زميله أنسكومبر، أن الحجاج متجذر في اللغة ولا يمكن فصل اللغة عنه لأن النص الأدبي نص لغوي بالنتيجة، وأن الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج فيقول ديكرو «أن كل قول يحتوي على فعل إقناعي، فإن تتكلم يعني أنك تحاجج، ولا وجود لكلام دون شحنة حجاجية، فالحجاج عنده هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب، لتنتج عن عمل المحاجة. »[3]

فديكرو يرى أن كل أقوالنا حجاج وهذا المفهوم على حد تعريف رائد الحجاج اللغوي في العالم العربي ألا وهو "أبو بكر العزاوي" في قوله: «هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى،

---

[1] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي– الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998 ، ص 226.

[2] محمد حمودي، الحجاج واستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد12، 2012، ص129.

[3] مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة– الجزائر،ط1، 2015 ،ص 22.

يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي نستنتجها منها ».[1]

بمعنى أن الحجاج هو عبارة عن متوالية قولية إنجازية تتألف من حجج لغوية ونتائج؛ ومن أمثلة ذلك قولك:

تعبت إذن سأستريح.

فالقول : تعبت (حجة قولية)، والقول : سأستريح (نتيجة). [2]

وعند التمعن في هذه الاتجاهات الثلاثة نجد أن التعريف الفلسفي المنطقي الذي يمثله طه عبد الرحمن يركز على ثلاثية : القضية المنطوق بها، والمنتج المدعي، و المخاطب المعترض، فيما يركز اتجاه البلاغيين الجدد وهم بيرلمان وتيتكا على التقنيات المؤثرة والموجات الفاعلة، أما اتجاه لغويي الحجاج وأشهرهم أوزفالد ديكرو وأبي بكر العزاوي يركزون على المتواليات القولية الجامعة بين الأقوال الحجج، والأقوال النتيجة، والغاية التي تجمع عليها الاتجاهات الثلاثة فهي التّأثير والتّوجيه. ويمكننا الجمع بين التّعاريف الثّلاثة في تعريف جامع يتلخص في:

الحجاج هو كلّ منطوق يعرض قضيّة ما بهدف استمالة المخاطب والتّأثير فيه، بواسطة طائفة من تقنيات الخطاب في شكل إنجاز متواليات قوليّة تجمع بين الحجج والنتائج المتمخضة عنها. [3]

2. الحجاج والبرهان والاستدلال:

يقع كل من البرهان والحجاج في كثير من المواضع مترادفين، حيث ينوب أحدهما عن الآخر، غالبا ما يستعملان بصفتهما مصطلحا واحدًا ويؤديان وظيفة واحدة وهي الدفاع عن موقف ما لكسب قضية ما والتغلب على الخصم، مقدما حججا كافية للالتزام بها [4]، فهما يتخذان من الحجة وسيلة لهما، ودليل ذلك تعريف البرهان لغة، فقد جاء في معجم الوسيط: «البرهان هو الحجة البينة الفاصلة »،وعند المنطقيين: «استدلال ينتقل فيه الذهن من قضايا

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الأحمدية، ط1، 2006،ص 16.

[2] لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، مطبعة الرمال، الوادي، الجزائر، د ط، 2020، ص 7.

[3] ينظر: نفسه ، ص 7-8.

[4] زكريا السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد ، الأردن، ط1،2014،ص 76.

مسلمة إلى أخرى تنتج منها ضرورة. وعند المناطقة القدامى:أسمى صور الاستدلال لأنه يقوم على أساس من مقدمات يقينية، وينتهي تبعا لذلك إلى نتائج يقينية. وأوضح صوره البرهنة الرياضية »[1].

إلا أن الأقدمين وأغلب الدراسات والبحوث المتعلقة بالحجاج كانت تميزه عن البرهنة، وتبين الاختلاف بينهما فالخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي، فلفظة الحجاج لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية [2].

كما يتميز الحجاج بارتكازه على ما يسمى بالمواضع :هي مجموعة من القيم والمعايير والعلاقات المتميزة بطبيعتها الظنية واللايقينية ولكنها تتمتع بشهرة ومقبولية لدى عامة الناس، فهي تقوم مقام القوانين والقواعد الضرورية التي يقوم عليها الاستدلال في المصوغات البرهانية.[3] وبما أن الحجاج يمتاز بطبيعته الظنية واللايقينية فيكون دائما مفتوحًا على الاعتراض وقابلاً باستمرار للدحض والتفنيد والمنازعة على عكس البرهان فلا يقبل الدحض [4]

ومن هنا نستنتج أن الحجاج يختلف عن البرهان، باعتبار أن الحجاج يتعلق بالخطاب ويمتاز بخمسة ملامح رئيسة حددها كل من بيرلمان Perelman وزميله تيتكا Tyteca وهي:«

- يتوجه إلى مستمع.
- يعبر عنه بلغة طبيعية.
- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
- لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة، ط3،2004، ص 54.

[2] أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج، ص 15.

[3] ينظر: رشيد الراضي، الحجاج والبرهان، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن، ط 1،2010،ص 190.

[4] ينظر: نفسه، ص 191.

– ليست نتائجه ملزمة ». [1]

أما البرهان فيعد نمطًا من أنماط الاستدلال يتميز بخاصية اليقين والقطعية والتقنين، حيث ينتمي في الأصل إلى مجال الاستدلالات الاستنباطية المنطقية والرياضية [2].

بالمقابل تتضح حقيقة الاستدلال في الخطاب الطبيعي أن يكون حجاجيًا لا برهانيًا صناعيًا. [3]

فهذه النقطة تبين موضع التمايز بين الحجاج والبرهان وتكشف عن طبيعة الاستدلال في كونه استدلالا طبيعيا غير صوري؛ فالاستدلال الطبيعي هو الذي ينجز باللغة الطبيعية ومن أبرز أنماطه الحجاج والاستدلال الذي يتوافق معه هو الاستدلال الحجاجي، أما مجال الاستدلال الصوري الرمزي هو اللغات الاصطناعية التي يتماشى معها الاستدلال البرهاني.[4]

ومن هنا يتضح أن الاستدلال مصطلح أعم يشمل البرهان والحجاج معًا، فكل حجاج استدلال، وليس كل استدلال حجاجا، وكل برهنة أو استنباط أو قياس تعتبر استدلالا والعكس غير صحيح.[5]

والاستدلال الحجاجي غير الاستدلال البرهاني، فهذا الأخير يميل إلى اللزوم المنطقي في إطار اليقينيات، أي ينطلق من مقدمات تستلزم بالضرورة نتائج حتمية، على عكس الاستدلال الحجاجي منطلقاته غير يقينية ونتائجه احتمالية.[6]

ولتوضيح الفرق بين الاستدلال الحجاجي و البرهاني نأخذ المثالين الآتيين:

1. انخفض ميزان الحرارة

إذن سينزل المطر

---

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط 2 ،2011، ص 27.28.

[2] عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016، ص20.

[3] نفسه، ص 65.

[4] أبو بكر العزاوي، من المنطق إلى الحجاج، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن ، ط 1، 2016، ص 22.

[5] ينظر: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار، وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ط 3، 2007 ، ص 57.

[6] عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، ص 22.

فالنتيجة الواردة في هذا الاستدلال هي نتيجة احتمالية لا حتمية، فانخفاض الحرارة شرط في نزول المطر ولكنه ليس بشرط ضروري لنزول المطر و بالتالي فهنا استدلال حجاجي.

2. كل اللغويين علماء

- زيد لغوي
- إذن زيد عالم

ففي هذا المثال النتيجة حتمية وضرورية، لأن الأمر هنا يتعلق باستدلال منطقي صوري ملزم فالنتيجة تكون حتمية وضرورية فكون زيد لغوي شرط كاف لتحقيق نتيجة زيد عالم[1].

ويمكن تلخيص الفرق بين الاستدلال الحجاجي والاستدلال البرهاني في الجدول التالي[2]:

الاستدلال البرهاني	الاستدلال الحجاجي
منطق صوري لا يقبل اللبس(برهنة تحليلية)	مساره حواري يستخدم أحكام القيمة (برهنة جدلية)
مساره عقلي يخاطب الإدراك	هدفه الإقناع على أسس عقلية.
برهنة لا شخصية وهي ملزمة	برهنة ليست شخصية(موجهة إلى طرف ما وهي ليست ملزمة)
مجاله اليقينيات	مجاله الرأي والممكن (العرف)
حجة واحدة يمكن أن تكون قاطعة	الحجج فيه تكون كثيرة نسبيا.
جمهوره كوني	جمهوره خاص يقصد من خلاله جمهور كوني.

[1] ينظر: أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج، ص 16.

[2] عبد الله صولة، الحجاج في القران من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب والإنسانيات، تونس ،ط1 ، 2001، ص 31.

3. الحجاج بين الدراسات القديمة والحديثة:

أ. الحجاج في الموروث اليوناني القديم:

عند السفسطائيين:

ظهر السوفسطائيون في اليونان ظهور {النثر الفني}، في القرن السادس قبل الميلاد دفعة واحدة وحاولوا فرض آراءهم على الجمهور الأثيني وتعليم علمائهم الحكمة الإنكارية ما دام العلم الحقيقي مستحيلا في نظرهم فالسفسطائيون قابلوا بين مبدأين علميين لكل منهما أثره في الحركة الفكرية مبدأ المنفعة، ومبدأ الحقيقة ،فقدموا المنفعة على الحق، لأن الناس مطبوعون على السعي وراء المنفعة.

مع هذه الحرية الفكرية تحرر النثر الفني من قيود العلم وقيود القاعدة وأصبح للكلام المحل الأول، وحل الخطيب محل العالم، والفيلسوف، ووقف الخطيب أمام العلماء يجادلهم جدلا حرا يرجع فيه إلى صدق حسه وإلى ما يجده في نفسه.[1] واهتم السفسطائيون بالخطابة اهتمامًا بالغًا، فالخطابة في نظرهم هي صدر الصنائع الإنسانية، وهي الصانعة للإقناع وهي التي تحرك الأفعال في المتلقي، وبالتالي فالسفسطائية حركة حجاجية بالدرجة الأولى وهي جدل قائم على التمويه والمغالطة والقياس الخاطئ من أجل التظليل والتغليظ وتحقيق السلطة على المجتمع والغلبة على الخصوم وتشكيل الرأي العام دون اعتبار للحق أو الباطل.[2]

فالسفسطائيون كانوا يخاطبون الناس قائلين: « إن الحقيقة ما يراه الفرد حقيقة والفضيلة ما يبدو له فضيلة، وقد انتهى بهم هذا المذهب إلى التأكيد على أن اللجوء للحيل الخطابية والألاعيب القولية أمر مشروع إن كانت نتيجته في نهاية المطاف تحقيق مصلحة شخصية راجحة، وقد برعوا براعة كبيرة في توظيف الأساليب البلاغية والخطابية...، في كسب تأييد الجمهور»،[3] ولهذا السبب تعرض السفسطائيون للهجوم من قبل الفلاسفة أمثال "سقراط" و"أفلاطون" و"أرسطو" لإنقاذ الشاب اليوناني من تظليلهم.

---

[1] ينظر، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، مكتبة الانجلو المصرية ،مصر، ط 1، 1950،ص19،20.

[2] ينظر، شعبان أمقران، تقنيات الحجاج في البلاغة اليونانية القديمة مقاربة لمشروع. السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو، اللسانيات، جامعة باجي مختار عنابة،الجزائر،العدد31، 2019،ص34،35.

[3] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، من الحوار في العقل الى العقل في الحوار، ط 1،دار الكتاب الجديد المتحدة،2010،ص 13.

ومن هنا يمكن القول أن الحجاج عند السفسطائيين هو التلاعب باللغة والتمويه والمغالطة من أجل إقناع المتلقي والتأثير فيه.

ب. عند الفلاسفة:

أفلاطون (347 ق.م) :

[... إن الحجاج السفسطائي يزيف حسب أفلاطون استعمال القول، القول بما هو قول الأشياء في الوجود... ويجعل بسلطة القول الأشياء الكبيرة تبدو صغيرة والصغيرة تبدو كبيرة وبهذا كله يتضح لنا أن أفلاطون اهتم فقط بالحجاج الأخلاقي هو حجاج يمكننا نعته بأنه مثالي فمنهج أفلاطون إذا هو منهج ديني مثالي يحارب الظن والمراوغة والتزييف وتحقيق المآرب غير الشرعية بسلطة القول وبالتالي فهو منهج غير سياسي نظرا إلى ما تبيحه السياسة من وسائل متعددة للوصول إلى غاياتها

التصور الأفلاطوني في صناعة الخطابة وهو تصور بناه على ثلاثة أركان :

- **الركن الأول:** اعتماد المنهج الجدلي؛ فالجدل أساس المعرفة والفكر الفلسفي معا وهو يقوم على عمليتين أولاهما عملية (التأليف) و الثانية عملية تقسيم وتفريغ و بهاتين العمليتين يعوض الحجاج الجدلي كلا من أقسام الخطابة الأخرى وخاصة اكتشاف الحجج وتنظيم القول.
- **الركن الثاني:** المتعلق بمعرفة أنواع النفوس وما يناسبها من أقاويل؛ يتعلق بمبدأ التناسب بين القول والسامع، لأن السامعين، أو النفوس، بصفة عامة يختلفون باختلاف مستويات، تهيئهم للخطابات.
- **الركن الثالث:** يهتم بالأسلوب وانسجام مكوناته وتناسب وحداته.[1]

أرسطو(322 ق.م) :

جعل أرسطو من البلاغة تقنية حجاجية لما هو قابل للصواب وليس للحقيقة والفرق كبير جدا هذا الفصل المزدوج عن الأخلاق وعن الحقيقة حرر البلاغة وسمح لها أن تتطور كتقنية ذات مشروعية في المناظرات داخل الفضاء العام للمدينة إضافة إلى ذلك أجرى

[1] ينظر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت–لبنان،2008، ص

أرسطو عملية فصل ثانية ميزته عن صناع الكلام فبلاغة أرسطو بلاغة استدلال أكثر منها بلاغة مشاعر، فاستطاع أرسطو أن يوسع حقل البلاغة لأبعد من المجال القضائي وذلك بخلاف صناع الكلام الذين حصروه في المحكمة والأفلاطونيين الذين حصروه في النقاش الفلسفي وبهذا أصبح للبلاغة وللمرة الأولى بعد عام –ما عدا حقل الحقيقة– كما أصبحت نظرية منظمة، وهكذا لم تعد البلاغة تعرف بأنها ببساطة فن الإقناع وإنما القدرة على الكشف بتفكر عند كل حالة عما يمكن أن يكون مقنعا فيها.[1] اقترح أرسطو للتمييز بين أنواع مختلفة من المتلقين وهذا التميز يحيل إلى العديد من المواقف الاجتماعية التي ينتشر فيها فن الإقناع فالمتلقي يمثل بالنسبة له منتهى كل خطاب وأن كل خطاب يشمل بكل وضوح ثلاثة أجزاء أساسية: المتكلم، الموضوع الذي يتكلم عنه، الشخص الذي يتوجه إليه الحديث، وبما أنه يوجد أنواع من المتلقين فإنه ستكون هناك ضروب خطابية مختلفة فيميز أرسطو بين ثلاثة متلقين هم: من يشهد الخطاب، ومن يحكم على موقف حدث في الماضي، وذلك الذي يحكم على موقف مستقبلي، الأول هو المستمع لخطاب يسمى استدلالي والنموذج الذي يمثله والمدح والمتلقي الثاني والحكم بالمعنى الحرفي ويكون ذلك في إطار قضية وهذا الخطاب ينتمي للضرب القضاء والمتلق الثالث والعضو في المجلس وعادة يكون المجمع، الذي ينبغي عليه اختيار سياسة مستقبلية والخطاب في هذه الحالة ينتمي للضرب الاستشاري.[2] ونميز مع أرسطو بين ثلاثة مستويات حجاجية (الإيتوس، الباتوس، اللوغوس) في علاقتها بالأبعاد الثلاثة للفعل الخطابي (الخطيب، المستمع، الخطاب).

بواسطة الايتوس يجند الحجاج كل ما يساهم داخل التلفظ الخطابي في إرسال صورة عن الخطيب في اتجاه المخاطب ذلك أن صوته، وصبيب كلامه واختياره الكلمات والحجج، والحركات، والإيماءات، والنظرة، والوقفة، والهيئة يعطي بها صورة سيكولوجية وسوسيولوجية عن نفسه.[3]

---

[1] ينظر، فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ط1،2011،ص 28،29.

[2] نفسه، ص30

[3] ينظر، حسن المودن بلاغة الحجاج بالايطوس والباطوس، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان–الأردن ط1–202م، ص85.

يشكل الباتوس مجموعة انفعالات يرغب الخطيب في إثارته لدى مستمعيه (رحمة، كراهية، غضب، خوف...).

يمثل اللوغوس الحجاج المنطقي، الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي ويرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي.[1]

ج. الحجاج في الموروث العربي القديم:

- **ما قبل الجاحظ:**

يزخر التراث العربي بالخطابات الحجاجية المتصفة بالطابع الإقناعي، الممارس منذ العصر الجاهلي، فالعرب منذ الجاهلية بلغوا أعلى درجات الريادة في القول والكلام والبلاغة والبيان، وأدت الأسواق الأدبية وظيفة المؤسسة الإعلامية لصناعة الشعر كما تعتبر مختبرا لتفقد الحوليات والتدقيق الأحكام النقدية وإجازة المجيدين منهم بلقب الشاعر أو الخطيب، وكانت الخطابة في هذا العصر أهم الوسائل الإقناعية التأثيرية في الجمهور بعد الشعر إلى أنها كانت شفاهية. ثم تنامت هذه الخطابات التي تجسدت هذه الإستراتيجية في عصر النبي والخلفاء الراشدين في كثير من السياقات[2]، فكان نزول القرآن الكريم الدافع الأساس لظهور العلوم؛ ولكونه أسمى خطاب لغوي وجهه المولى عز وجل للبشرية جمعاء فكان أول مصدر يستنبطون منه القواعد التي تخضع لها البلاغة العربية ولأنه خطاب موجه أساسا للتأثير على آراء المخاطب وسلوكياته واستمالة العقول وتوجيه النفوس فمن خلال الخطاب القرآني انفتحوا على العالم، ولأنه شكل تحولا فكريا وحضاريا في البيئة العربية لما فيه من تأثير وإقناع.[3]

ومن الآيات المذكورة في القران الكريم تحمل دلالات الحجاج؛ كما في قوله تعالى:﴿ **قُل فَلِلَّهِ ٱلحُجَّةُ ٱلبَٰلِغَةُ فَلَو شَآءَ لَهَدَىٰكُم أَجمَعِينَ﴾** الأنعام 149.

﴿ إِذ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱستَكبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُم تَبَعا فَهَل أَنتُم مُّغنُونَ عَنَّا نَصِيبا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ غافر47

---

[1] محمد طروس، النظرية الحجاجية من حلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة ، ط1، 2005، ص18.

[2] راضية باي وآخرون، السلالم الحجاجية في السور المسبحات من القرآن الكريم، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، في اللغة والأدب العربي، لسانيات عامة، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي،1444هـ-2023م،ص32.

[3] زهية مهدي، البنية الحجاجية في المناظرة بين العلم والجهل لمحمد بن عبد الرحمن الديسي، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر، أدب جزائري، جامعة بوضياف-المسيلة،1439هـ-1440\2018م-2019م،ص29.

إن الحجاج في القرآن الكريم يهدف إلى الإقناع بالبراهين والأدلة والحجج العقلية والكونية، والفطرية إثباتا لحقيقة الإسلام، والإيمان بالله ورسله وجزائه.[1]

- **مرحلة الجاحظ (مرحلة التنظير):**

لا نكاد نتقدم بعد الربع الأول من القرن الثالث الهجري حتى يتجرد معتزلي كبير وهو الجاحظ (ت255هـ)،لدرس شئون البيان والبلاغة، فيؤلف كتابه (البيان والتبين)[2]،ويقول في مفهوم البيان :

البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب عن الضمير. والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان.

ومدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام. نستخلص من هذا أن مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي؛ أي أنه العملية الموصلة إلى الفهم والإفهام في حالة اشتغاله حتى وإن اقتضى الإجراء التعليمي تقديمها منفصلة أو ساكنة أحيانا[3] فالشيء المركزي الثابت في كتاب البيان والتبيين هو الفهم والإفهام بالوسائل المختلفة الوسائل اللغوية والإشارية خاصة؛[4] والدليل في ذلك تعريفه للبلاغة يقول فيه «قلت للعتابي ما البلاغة؟ قال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة، ويفوق الخطيب فإظهار ما غَمُضَ من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق»[5]. ويقول: «لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط. سئل ما البلاغة قال البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا...».[6]

- **ما بعد التنظير (بعد الجاحظ):**

---

[1] زهية مهدي، البنية الحجاجية في المناظرة بين العلم والجهل لمحمد بن عبد الرحمن الديسي ،ص30.

[2] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ ،دار المعارف، القاهرة–مصر، ط1،ص46 .

[3] محمد العمري، البلاغة أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق، بيروت– لبنان،1999،ص191.

[4] نفسه، ص191.

[5] الجاحظ، البيان والتبيين، عبد السلام محمد هارون،ج1 ، ص113،

[6] نفسه ص115–116.

وهي مرحلة ضبط السياقات الإقناعية وكان أبرز أعلامها أبو الوليد الباجي 474هجري، وإسحاق بن وهب 337 هجري، أبو يعقوب السكاكي 626 هجري، وغيرهم، ويبدو أن أكمل قراءة بالمخالفة والتكميل لتصور الجاحظ هي التي قام بها ابن وهب في كتابه البرهان في وجه البيان[1] ونجد في قوله :«أما بعد فإنك ذكرت لي وقوفك على كتاب الجاحظ الذي سماه كتاب البيان وإنك وجدته إنما ذكر فيه أخبارا منتهلة وخطب منتخبة ولم يأتي فيه بوظائف البيان والتبيين على أقسامه في هذا اللسان، فكان عندما وقفت عليه غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب إليه».[2] يمكن إرجاع وظائف البيان إلى وظائف أساسية :

- **الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية:**(حالة حياد) إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام.
- **الوظيفة التأثيرية:**(حالة الاختلاف) تقديم الأمر على وجه الاستمالة وخلب القلوب.
- **الوظيفة الحجاجية:**(حالة الخصام) إظهار الأمر على وجه للاحتجاج والاضطرار[3].

لقد استحضر الجاحظ هذه الوظائف الثلاث، غير أن اهتمامه قد توجه بشكل خاص إلى الوظيفة الثانية بمفهوم يجعلها تمتد في الوظيفتين الثالثة والأولى دون أن تصل الوظيفتان(1-3) إلى درجة الظهور كغرض مستهدف توضع له آليات مضبوطة. وذلك بخلاف ابن وهب الذي ركز على الوظيفة الأولى و الثالثة، وذلك في اهتمامه بإنتاج المعرفة وتصنيفها وطرق ووسائل تداولها ومستويات تقنيتها إن عمل ابن وهب أقرب إلى نظرية معرفية في حين أن عمل الجاحظ يندرج ضمن النظرية البلاغية يستعمل ابن وهب مصطلح الجدل مرادفا للاحتجاج وبدلا منه، ويجعله ثالث ضروب المنثور، وهي في نظره أربعة: خطابة، وترسل، واحتجاج، وحديث. ويعقد للجدل والمجادلة بابا من كتابه فيه جملة من القضايا تدور على الحجاج تقسيما وسلطة مطلوبة وتصورا لمساره السليم وتنبيها على ما يتهدده من أخطار، جعل ابن وهب الجدل قائما في ما كان من الموضوعات خلافيا موجود

[1] محمد العمري، البلاغة أصولها وامتدادها ،ص211.

[2] ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص49

[3] محمد العمري، البلاغة أصولها وامتدادها، المرجع السابق، ص212.

في النثر والشعر على حد سواء وجعله على ضربين: ضرب محمود يقصد به الحق ويستعمل فيه الصدق، وضرب مذموم يستعمل للمماراة والغلبة ويطلب به الرياء والسمعة[1].

يركز ابن وهب في البرهان على الأجناس الخطابية التي تحكمها المواجهة الإقتناعية مثل أدب الجدل وأدب الحديث، واللذين خصهم بمتابعتين متجاورتين منتبها بذلك لأشكال حوارية لم يهتم بها سابقوه من البلاغيين، وقد جعل ابن وهب الجدل مجادلة ليدل على طابعه التفاعلي، كما ربط الاختلاف أي استحضار الآخر واعتماد الحجة يقول في تعريف الجدل والمجادل بأنهما "قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين".[2]

ما يثبت جليا السمة الاقتناعية لمشروع ابن وهب البلاغي، أنه لا يفتأ على امتداد البرهان يردد بأن الحجة هي الوسيلة المتاحة في تحصيل المعرفة أو تحقيق الاعتقاد، في "التثبت" أو "النفي" وفي تصديق المشتبه "اكتشاف الباطل" لا غرو أن يكون لفظ (الحجة) ومشتقاته الأكثر تواترا في الجهاز المفاهيمي الذي توسله، مما يصح معه أن يسمى بيانه ببيان الحجة.[3]

د. الحجاج في الدراسات الغربية الحديثة:

د.1- بيرلمان وتيتكا:

إن عودة الاهتمام الحالي بالبلاغة تدين بالكثير إلى كتابات الفيلسوف القانون البلجيكي. الأستاذ في جامعة بروكسل، شايم بيرلمان(1912-1984) الذي نشر في عام 1958 ثم عام 1970 بمشاركة لوسي أولبير شتس تيتيكا كتاب (رسالة في الحجاج)، ترتبط البلاغة الجديدة بالتقليد البلاغي الأرسطي وتقوم بتحديثه. هذه البلاغة الجديدة تدخل في عملية قطيعة مع المنطق البرهاني وفلسفة الوضوء على الطريقة الديكارتية، وذلك لفتح المجال أمام منطق حجاجي غير رياضي. وعليه يعرف بيرلمان الحجاج بأنه «دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة الأذهان، أو زيادة تعلقها بالأطروحات التي تعرض من أجل أن تقبلها»[4]،

---

[1] عبد الله البهلول، الحجاج الجدلي خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي، ط1، 2013،ص142.

[2] عبد الطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2014،ص71.72.

[3] نفسه،ص73.

[4] فيليب بروتون، وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج،ص41

وقد حصر بيرلمان الحجاج وأنواعه في طريقتين اثنتين تنضوي تحتهما تقنيات حجاجية منوعة سنعمد إلى متابعة أشكالها، ورصد مظاهرها داخل الخطاب الحجاجي، والطريقتان على ضربين: ضرب يقوم على الوصل والاتصال والآخر يقوم على الفصل والانفصال، إلا أننا أثرنا الأخذ بطيف واحد من هذه الحجج وهي القائمة على الاتصال بنوعيها المؤسسة على الواقع والمؤسسة لبنية الواقع، دون الحجج شبه المنطقية، فهي أقرب إلى البحث الرياضي المنطقي منها إلى البحث اللغوي ومرونة اللغة[1].

- **الحجج شبه المنطقية:**

وهي التي تعتمد في قوتها الإقناعية على بعض البنى المنطقية مثل التناقض والتماثل التام، أو الجزئي وقانون التعدية، كما يعتمد هذا النوع من الحجج أيضا بعضا من العلاقات الرياضية كعلاقة الجزء بالكل، والأصغر بالأكبر[2]، يقول بيرلمان فيها:« إنها حجج تدعي قدرا محددا من اليقين من جهة أنها تبدو شبيهة بالاستدلالات الشكلية المنطقية أو الرياضية مع ذلك فإن من يخضعها الى التحليل ينتبه في وقت قصير إلى الاختلافات بين هذه الحجج والبراهين الشكلية، لأن جهدا يبذل في الاختزال أو التدقيق فحسب يكون ذا طبيعة لا صورية يسمح بمنح هذه الحجج مظهرا برهانيا ولهذا السبب بنعتها بأنها شبه منطقية»،[3] وقد يبدو هذا النقص في صرامة الحجة شبه المنطقية ودقتها خطأ منطقيا إلا أن هذا الاتهام لا يليق إلا بمن يزعم إنه يمارس البرهنة، الحجج التي يبسطها الخطيب لصالح دعواه هي من طبيعة أخرى فالأمر لا يتعلق ببرهنة صحيحة أو خاطئة بل بحجج قوية بهذا القدر أو ذاك، يمكن تدعيمها إذا تطلب الأمر ذلك بالاستعانة بنوع آخر من الحجج.[4]

---

[1] عبد الحسن علي، حبيب شبيب الناصر، الخطاب الحجاجي لأهل البيت في كتاب الاحتجاج دراسة تداولية، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة،ط1، 1439هـ-2018م،ص103.

[2] محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر ، ص 128 .

[3] محمد صادق الأسدي، تداولية الخطاب الديني في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة،ط1، 1439هـ-2018م،ص174.

[4] شاييم بيرلمان، الامبراطورية الخطابية، صناعة الخطابة والحجاج، تر: حسين بنو هاشم، الكتاب الجديد، بغازي – ليبيا،ط1، 2022،ص129.

إن الحجج شبه المنطقية من النادر أن تحقق الإقناع بمفردها بسبب سلبيات اختزال الأمور فيما هو صوري وكمي،إنها تحتاج إلى أن يتم تكميلها بحجج مؤسسة على بنية الواقع.[1]

- **الحجج المؤسسة على بنية الواقع:**

تقوم هذه الحجج على بناء واقع قائم عن طريق ربط أحكام مسلم بها أيضا، وتوظف الحجج شبه المنطقية للربط بينهما، إذ تقوموا الحجج شبه المنطقية بجعل الأحكام المسلم بها والأحكام التي يراد إثباتها عناصر تنتمي إلى مفهوم واحد يجمع بينهما بحيث لا يمكن التسليم بأحدهما من دون أن يسلم بالآخر ومن هنا جاء وصفها بكونها حججا اتصالية أو قائمة على الاتصال[2] ويقسم بيرلمان الحجج المؤسسة على بنية الواقع إلى نوعين:«نوع **الاتصال التتابعي**، وهو الاتصال الذي تربط فيه الأسباب بتائجها، وتتجسد في التتابع عن طريق اتصال (السببي، والتبذير، والاتجاه)،ونوع **الاتصال التواجدي**، وهو الاتصال الذي يربط فيه الجوهر مع تجلياته، ويتجسد في وجوه (الشخص وعمله، والشخص والسلطة).[3]

- **الحجج المؤسسة لبنية الواقع:**

تعتمد هذه الحجج أيضا على الاتصال مع عناصر الواقع، ولكنها لا تتأسس عليه ولا تستدعي على أشكاله المنطقية وإنما تحاول تأسيس واقع خاص بها لتصله بما تريد من عناصر يراد توجيهها المتكلم بهذه الحجج يحاول إنشاء صور واقعية جديدة يوجه بها ما يريده لإقناع مخاطبه والتأثير عليه، و تتحدّد الحجج المؤسسة لبنية الواقع في تقنيتين في الاستدلال وهما: تقنية استدلال تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة، وتقنية الاستدلال بواسطة التمثيل.[4]

---

[1] شاييم بيرلمان، الامبراطورية الخطابية، صناعة الخطابة والحجاج ، ص160.

[2] محمد صادق الأسدي، تداولية الخطاب الديني في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، المرجع السابق، ص191.

[3] عبد الله صوله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص 322.

[4] ينظر:عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال القديمة مقاربة سردية تداولية، كنوز المعرفة، الأردن، ط 1، 2015 ،ص194.

د.2 الحجاج عند أنسكومبر وديكرو:

يظهر جهد الباحثين في عملهما المشترك "largumentation dans L langue" إذا اعتبر أن مصطلحي البلاغة والحجاج يكتسبان معاني جد مختلفة عن التي كانت متداولة في التقاليد الأرسطية، إن طبيعة الاختلاف نابع من كون الحجاج يتموضع في اللغة على خلاف ما جاء به برلمان وتيتيكا حينما وضعه في الخطاب وألبسه المنطق الرياضي أو الشكلي أو الصوري.[1]

لقد انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها "أوستين" و"سورل" وقد قام ديكرو لتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص واقترح في هذا الإطار فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج[2]، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطًا معين من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار و القيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره.[3]

أما الحجاج فهو مؤسس على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب ونوضح هذا بالأمثلة التالية :

- أنا متعب إذا أنا بحاجة إلى الراحة.
- الجو جميل، لنذهب إلى النزهة.
- الساعة تشير إلى الثامنة، لنسرع.
- عليك أن تجتهد، لتنجح.[4]

عند النظر إلى هذه الجمل نجد أنها تتكون من حجج ونتائج فنقدم الحجة لتؤدي إلى نتيجة معينة التعب مثلا في الجملة الأولى يستدعي للراحة وجمال الجو في الجملة الثانية يدفع إلى التنزه من أجل الترويج على النفس، المتكلم يقدم هذا العنصر باعتباره حجة ودليلا لصالح النتيجة المقصودة، ونشير إلى مفاهيم الحجة والنتيجة التي نجدها عند ديكرو في

[1] بلخير أرفيس، في تداوليات الخطاب، دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب، البدر الساطع للطباعة والنشر،ط1، 2020، ص 69.

[2] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 15.

[3] نفسه، ص16.

[4] نفسه، ص17

تصوره القديم عبارة عن أقوال، أما التصور في أعماله الأخيرة عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر؛ تكون على شكل قول أو فقرة أو نص وقد تكون سلوكا غير لفظي وقد تكون ظاهرة أو مضمرة والشيء نفسه بالنسبة للنتيجة والرابط.[1]

هناك مجموعة من الروابط الحجاجية مثل لكن وحتى تحدد درجة قوة الحجج في تعزيز النتائج وتفاضل بينها بحيث يمكننا الحديث عن طبيعة تدريجية للحجج تتيح لنا دراسة النشاط الحجاجي اعتمادا على عبارات مثل أكثر وأقل ويمكن تمثيل هذا المبدأ على الشكل الآتي:

حيث ن نتيجة و ب و م حجتان

ويظهر من خلال هذا الشكل أن الحجة ب أقوى من الحجة م في تعزيز النتيجة نجد هذا المبدأ أيضا في بعض الملفوظات التي ترد في الخطاب كحجج ألفاظ تتميز بالمعيارية عمل ديكرو وأنسكومبر على صياغتها وإدراجها **بصورة نسائية** ضمن نظريتهما الحجاجية اللسانية مثال ذلك: هند جميلة جدا.

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ، ص18.

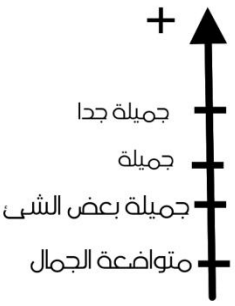

مبدأ القوة الحجاجية مطبق على خاصية الجمال النسائي فالقيمة الحجاجية للملفوظ السابق مستمدة من وضعه في سلم الجمال النسائي كقيمة عليا بالنسبة إلى باقي الملفوظات الواردة في السلم نفسه؛ فهو يمثل حجة أقوى في صالح النتيجة الإيجابية الموافقة له.[1]و إرسال ذكر دعائم نظرية حجاجية تختلف عن مقاربة برلمان من وجوه عدة أهمها المنهجية المتبعة في رصد السلوك الحجاجي وخصوصية التوجه كل إطار نظري فإذا كان برلمان أميل إلى وسط بلاغ جديد يربط البلاغة بالجدد فإن ديكرو أنسكومبر تبين نموذجا لسانيًا ثانيا عرف بالتداولية المدمجة نتطرق إليه لاحقا لعلم فيه من جده النهج كونه استعاض عن أوصاف الوضعيين الجدد كبيرس(peirce)، واستشرق توجه حادثا في تناول ظاهرة المعنى.[2]

هـ الحجاج في الدراسات العربية الحديثة:

هـ.1-طه عبد الرحمٰن:

يقول في كتابه (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام):« فلما كانت الفلسفة خطابا طبيعيا فلا يفيدها تقليد أهل البرهان في صنع استدلالات صورية، لا هي ارتقت بها إلى درجة اليقين الرياضي ولا هي هدتها سبل التوجيه العملي. والحق أن الفلسفة الواعية بأصولها

[1] رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو، عالم الفكر، العدد1، يوليو سبتمبر 2005،ص220،219

[2] توبي لحسن، الحجاج والمواطنة، رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة-مصر،ط1 ، 2014، ص72.

الطبيعية والتداولية التي ندعو إليها لا تبغي بمسالك الحجاج بديلا، لأنها وحدها الكفيلة في إطار مجال التداول مقتضياته التفاعلية بأن تحصّل الإقناع وتدفع إلى العمل».[1]

و يقوم الحجاج عنده على ثلاثة أصناف:

- **الحجاج التجريدي:**هو« ترتيب صور العبارات بغض النظر عن مضامينها واستعمالاتها»[2]،حيث يهتم هذا النوع بالشكل دون المضمون.
- **الحجاج التوجيهي:** هو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، بناء علما بأن االتوجيه هنا هوإيصال المستدل لحجته إلى غيره؛ فالمستدل قد ينشغل بإلقاء أقواله ولا ينشغل بمقدار تلقي المخاطب لها وردة فعله عليها[3]. بمعنى أن المخاطب يهتم بأقواله وحججه قصد إقناع المتلقي دون الإكتراث إلى ردة فعله.
- **الحجاج التقويمي:** هو« إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة مفترض على دعواه، ولا يقف المستدل على فعل إلقاء الحجة على المخاطب ليتعدى ذلك للنظر في فعل التلقي».[4] المقصود به أن المتلقي يجعل ذاته ذاتين، ذات تعتمد على الحجج والبراهين في تلقي الدعوة، وذات تعترض وتنقد.

ولما كان كل حجاج تواصلاً، فإننا نحصل على ثلاثة نماذج تواصلية للحجة وهي:

- **النموذج الوصلي للحجة:** تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة وصل، إذ يعامل الحجة معاملة البناء الاستدلالي المستقل الذي تكون عناصره موصولة وصلا تاما.
- **النموذج الإيصالي للحجة:** تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة إيصال، لأنه يجعل من الحجة فعلا استدلاليا يتوجه به المتكلم إلى المجتمع.

---

[1] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص66.

[2] باسم خيري خضير، الحجاج وتوجيه الخطاب، مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباته، دار صفاء للنشر والتوزيع،عمان،ط1، ،2019م-،ص52.

[3] ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 226.

[4] نفسه، ص 228.

- **النموذج الإتصالي للحجة:** تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة اتصال إذ ينظر في الحجة بوصفها فعلا مشتركا بين المتكلم والمستمع، جامعا بين توجيه الأول وتقويم الثاني.

4. التداوليات المدمجة:

استهدفت النظرية الحجاجية اللسانية دراسة الخطاب الإقناعي للغة الطبيعية أو طرق الاستدلال غير الصوري، وارتبطت بالمجال اللساني الصرفي، علاوة على هذا فإنها ابتعدت عن تفريعات الوضعيين الجدد، من أمثال بيرس(1984)، القاضية بتقسيم مجال لسانيات إلى ثلاث مستويات مستقلة، تخضع لتسلسل خطي (التركيب، الدلاليات، ثم التداوليات)، يقول أنسكومبر في هذا السياق إذا كنا نقصد بالتداوليات دراسة قيم فعل الأقوال valeursd action فإننا نتبنى الموقف القاضي بأن وجود التداوليات يظهر انطلاقا من المستوى الدلالي العميق. إنها فرضية الدلاليات المدمجة: تتضمن القيمة الدلالية العميقة مؤشرات ذات طبيعة تداولية.

نستنتج أن أنسكومبر ينفي فصل الدلاليات التداوليات، ويقف ضد الأطروحة القاضية على ذلك.[1]

[1] توبي لحسن، الحجاج والمواطنة، ص73.

ثانيا: السلالم الحجاجية:

1. مفهوم السلم الحجاجي

السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج المنتمية إلى فئة حجاجية واحدة بحسب القوة الحجاجية لكل حجة ومعلوم أن الحجة اللغوية متفاوتة في قوتها الحجاجية فهناك الحجة الضعيفة والحجة الأضعف، وهناك الحجة القوية والحجة الأقوى .أي من الأضعف إلى الأقوى صعودًا، ومن الأقوى إلى الأضعف نزولاً، ويكون الترتيب هكذا من الأضعف إلى الضغيف، إلى القوي، إلى الأقوى .الحجج اللغوية-بخلاف البراهين المنطقية، غير متساوية في قوتها، وغير متماثلة من حيث طبيعتها.

ويمكن أن نرمز للسلم الحجاجي كالتالي:

- ن: النتيجة
- ب، ج، د: حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن"

ويتسم السلم الحجاجي بسمتين إثنين:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونها.

ب- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه.[1]

2. قوانين السلم الحجاجي

تنحصر قوانين السلم في ثلاثة قوانين نوردها على النحو الآتي:

أ- **قانون تبديل السلم(النفي)** :إذا كان قول ما (أ) مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه (لا- أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة. وبعبارة أخرى، فإذا كان (أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة النتيجة (ن)فإن (لا- أ) ينتمي إلى النتيجة المضادة (لا- ن) .

[1] أوزفالد ديكرو، السلميات الحجاجية، تر: الأستاذ الدكتور أبو بكر العزاوي، وراقة بلال،فاس-المغرب،ط1، 2020، ص19.

ويمكن توضيح هذا القانون بواسطة المثالين التاليين:

- زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان
- زيد ليس مجتهدا، انه لم ينجح في الامتحان

فإن قبلنا الحجاج الوارد في المثال الأول، وجب أن نقبل كذلك الحجاج الوارد في المثال الثاني.[1]

ب- قانون القلب : يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي، ويعد مكملا له ومفاده أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس الأقوال الإثباتية، أي «إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فان نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة ».

ويمكن أن نرمز لهذا بواسطة السلمين الحجاجيين التاليين:

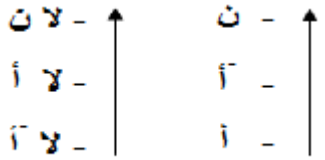

وقد مثل العزاوي لذلك بما يأتي:

- حصل زيد على الماجستير، وحتى الدكتوراه.
- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير، في حين أن عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته العلمية.[2]

ج – **قانون الخفض** : مقتضى هذا القانون أنه : «إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.».[3] فعندما نستعمل جملا من قبيل:

- الجو ليس باردا
- لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

---

[1] ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ، ص 23.

[2] ينظر: نفسه، ص 24.

[3] طه عبد الرحمن، اللسان أو الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 227.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارص وشديد في المثال الأول. أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل في المثال الثاني. وسيؤول (القول الأول) على الشكل التالي :

- إذا لم يكن الجو باردا، فهو دافئ أو حار.

وسيؤول القول الثاني كما يلي:

- لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل.

مع ملاحظة أن ((لا تندرج الأقوال الاثباتية (من نمط "الجو بارد") ، والأقوال المنفية (من نمط "الجو ليس باردا")في نفس الفئة الحجاجية ،ولا في نفس السلم الحجاجي)).[1]

أما **الاتجاه الحجاجي** يعني أنه «إذا كان قول ما يمكن إنشاء فعل حجاجي، فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحًا أو مضمرًا، فإذا كان القول أو الخطاب معلما، أي يشمل على بعض الروابط والعوامل الحجاجية، فإن هذه الأدوات تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب، أما في حالة كون القول غير معلم، فإن التعليمات المحددة للاتجاه الحجاجي تستنتج إذاك من الألفاظ والمفردات بالإضافة إلى السياق التداولي والخطابي العام. » [2]

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، المرجع السابق،ص24.

[2] نفسه، ص25.

3. وسائل السلم الحجاجي

أ-الروابط الحجاجية Les connecters Argumentatifs :

تسهم هذه الروابط الحجاجية في إبراز مكونات بنية الحجاج، ودورها لا يكمن في هذا الرابط فقط، بل يتعداه إلى تحديد طبيعة كل مكون من تلك المكونات الحجاجية، ويصبح بذلك قاعدة بنائية لإدراج الحجاج أو النتائج كما تساعد هذه الروابط الحجاجية المتلقي على ترتيب ما يفرض عليه أثناء الحجاج، كأن يربط سببا بمسببه أو بنتيجته، أو قد يكون الأمر ربط نتيجة سابقة بحجة لاحقة وهذا ما يسهل على المتلقي تحديد المقاصد ومعرفة الغايات من الحجاج.[1]

كثيرة هي الصرافم المبرهنة على سلمية اللغة نذكر منها:

- **الرابط الحجاجي حتى:**

{كل إنسان خطأ} {حتى العلماء}

| |

حجة1 حجة2

| |

معطوف عليه معطوف

| |

عام/ كل خاص/جزء

وتظهر عملية التقوية للحجة في حركة التوجيه الذي تقوم به "حتى" في إخراج الملفوظ من العام إلى الخاص ومن الكل إلى الجزء، وفي هذا التمشي رفع الغموض وتعدد المفاهيم، أليس من وظائف العامل الحجاجي القضاء على الغموض وحصر النتيجة حصرًا؟

[1] حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الحجاجي في كليلة ودمنة لابن المقفع، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية اللسانيات واللغة العربية، محمد خيضر بسكرة،2015م-2016م،ص259.

إن السلمية في الخطاب التي يحققها التركيب المتضمن للعامل "حتى" تكشفه إلى ذلك الوحدات المعجمية التي تسبق العامل والتي تليه وإن كان واضحًا أن الذي يلي "حتى" أقوى حجية وأكثر توجيهًا نحو النتيجة.[1]

- **الرابط الحجاجي لكن:** من أدوات التعارض الحجاجي، تقع بين قولين متناقضين، متى حلت بالكلام؛ عملت على تبديل الاتجاه الحجاجي، ووجهت متلقي الخطاب الإقناعي إلى وجهة جديدة تخالف الوجهة السابقة فيه فالمحاجج يعتمد الرابط الحجاجي (لكن) من أجل دحض النتيجة المستخلصة من القول الوارد فيها ((الحجة الأولى))، وتدعيم نتيجة القول الذي يليها ((الحجة الثانية))، ولهذا كانت (لكن) تفيد الاستدراك فهي تنسب حكما لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها.[2]
- **الرابط الحجاجي بل:** وهي أيضا من روابط التعارض، فيربط بين حجتين معارضتين، تخدمان نتيجتين مختلفتين فتعمل –بل– على تقوية حجة على أخرى حيث تكون الحجة الواردة بعده أقوى من الحجة التي قبله وتكون الحجة الثانية في أعلى درجات السلم الحجاجي فهي الموجهة للقول برمته وهذا ما أكده الرماني في قوله:« أن بل من الحروف الهواء ومعناها الإضراب عن الأول والاتجاه إلى الثاني».[3]
- **الرابط الحجاجي "الواو":** يشير هذا الرابط إلى وظيفة الجمع بين قضيتين (حجتين)، ويستعمل حجاجيا بوصفه رابطًا عاطفيًا، يحمل على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض، بل يعمد على رصد الحجج وتماسكها وتقويتها فضلا عن التدرجية أو السلمية في ترتيب الحجج وعرضها.
- **الرابط الحجاجي الفاء:** يعتبر رابط الفاء من حروف العطف التي تضطلع بوظيفة حجاجية، إذ يربط بين النتيجة والحجة من أجل التعليل والتفسير، فهي أداة ربط علية واستنتاجية في الخطاب الحجاجي، وتجمع بين قضيتين غير متباعدتين في الدلالة

[1] عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس، ط1،2011 ، ص136.

[2] ينظر مسعودة الساكر، الروابط الحجاجية في القران الكريم، نماذج مختارة مقال، مجلة الآداب –جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي–الجزائر، 2021،العدد1، saker-messaouda@univ-eloued.dz، ص446.

[3] نفسه ص449.

على التقارب فضلًا عن الدلالة على الترتيب والاتصال. وأكثر ورودها كون ما بعدها أو المعطوف بها متسببا عما قبله.[1]

-**الرابط الحجاجي ثم:** وهو أيضا من حروف العطف التي تفيد التراخي والمهلة بين قضيتين متباعدتين فضلًا عن إفادتها الترتيب بين الحجج.[2]

ب-**العوامل الحجاجية**

يعرف قيقلون العامل الحجاجي في ثلاثة مواضع أما أولهما فيعرفها فيه بكونه علامة تساعد على تحقيق إحدى وظائف اللغة وتتم اللعبة الحجاجية، وعلى هذا تكون العوامل عنصر مساعد لإظهار المنحى الحجاجي في اللغة وأداة لتحقيق جل وظائفها، وأما ثاني المواضع فيعرفها فيه بكونها "أداة" فكل خطابا ذا مدى تأثيري تضمنه أدوات لغوية تساعد المتلقي ما يعتبره المتكلم واقعيًا وصحيحًا .[3]فلا يتم هذا التأثير بالإقناع إلا عبر هذه الأدوات أما ثالث هذه التعريفات فهو تعريف جامع اعتبر العمل الحجاجي هو العماد في عمليه التواصل انتقاله من تعريف العامل بأنه علامة ثم أداة ثم عماد التواصل إنما هو إلحاحه على أن غاية كل خطاب إنما هو الإقناع، ولا وجود لخطاب دون غاية إقناعية منه، ولا يتحدد هذا الإقناع إلا بهذه العوامل.[4]

نذكر من هذه العوامل ما يلي:

- **العامل الحجاجي إنما:** تأتي في كلام ((لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته ولم ينزل هذه منزلته تفسير ذلك إنك تقول للرجل إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القديم))، لا تقول لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه و يقر به إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الاخوة.

[1] محمد أمعيط، الروابط والعوامل الحجاجية في المناظرة السياسية مناظرة على الخوارج أنموذجا -دراسة حجاجية-مقال كلية اللغات والآداب والفنون جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب2021، العدد7، ص66.

[2] نفسه، ص67.

[3] ينظر، عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ، ص16.

[4] ينظر: نفسه، ص17.

تقوم بحصر وتقييد النتيجة التي يريد المتكلم إقناع المتلقي بها في ما لا ينكره فتعمل على تنبيه المتلقي على نتائج هذا الأمر المعلوم عنده وتأكيده في نفسه أثناء الحوار مما يندرج ضمن مبدأ الإقناع عموما وعلى هذا تظهر النتيجة الحجاجية.[1]

- **الشرط:** تناسب الجملة الشرطية [2]وفق الشكل الآتي:

أداة الشرط +جمله الشرط =)جملة جواب الشرط .

وترتبط جملة جواب الشرط من حيث الأسباب والنتائج واستعمال هذا العامل الحجاجي أثناء الحجاج يؤدي إلى ربط النتيجة بحجتها ربطا منطقيا ودلاليا، يظهر أثره في المتلقي لتقبل النتائج.

نستنتج أن العوامل الحجاجية هي ما يقود المتلقي لوجهته الحجاجية دون لبس وغموض فهي ترفع ذلك.

4. مستويات السلّم الحجاجي:

بما أن الحجاج لا ينفك عن اللغة ، والسلم الحجاجي أحد هذه الآليات اللغوية للحجاج ، فله من المستويات ما للغة من مستويات ، ومن أبرز هذه المستويات :

أ – سلّميّة المعجم:

إن الكلمة بحد ذاتها قد تكون في رتبة معينة من سلم ما ، كما هو الحال مثلا في العلاقات داخل الحقل المعجمي من الحقول الدلالية [3] ، أو ما تقوم به بعض المعجمات من إيراد المعنى المضاد لكلمة ما للتعريف بها .

وتتضح السلمية التي عالجها ديكرو في المستوى المعجمي من خلال بعض النماذج التي قدمها في كتابه "السلالم الحجاجية "، من قبيل الصفة التي تطلق عن حالة الطقس [منعش ، بارد ،قارص] أو [دافئ ، ساخن ، حار] وقد يطال السلم الأرقام في تراتيبها من الأصغر إلى الأكبر، مثلما ضرب على ذلك ديكرو مثاله حول : ثمن التذكرة أو الكميات والمسورات [بضع ، بعض ،كل .....الخ].

---

[1] محمد صادق الأسدي، ، تداولية الخطاب الديني في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، ص236.

[2] حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الحجاجي في كليلة ودمنة لابن المقفع ، ص273.

[3] أسمهان سهل كاظم، محمد عبد مشكور الكعبي، السلالم الحجاجية و مستوياتها في كتب المجالس النحوية، حوليات آداب عين الشمس ، بغداد – العراق، العدد يوليو– سبتمبر، مج 49، ص 96.

وأساس هذه السلمية هي قيام المعجم على ضرب خاص من التقابل، ونقصد بالتقابل ذلك الاسترسال في معاني المفردات على النحو التالي :

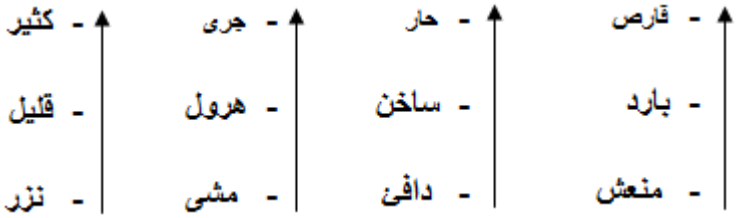

والمفيد من كل هذا هو أن المعجم بأقسامه ومقولاته تحكمه سلمية تؤكدها الوظيفة المرجعية للغة .[1] ودليلنا عن ذلك درجات الألوان واسترسالها مثلما أوردها أبو منصور الثعالبي في كتابه " فقه اللغة وسر العربية "،من تراتيبة اللون الأبيض واللون الأسود فيقول في باب ترتيب البياض: « أبيض ، ثم يَقِق، ثم لَهِق ثم واضح ، ثم ناصع ، ثم هجان وخالص» ، أما في باب ترتيب السواد يقول : «أسود وأسحم ثم جون و فاحم ، ثم حالك وحائك ...الخ» [2]

وليس الأمر ببعيد عن الحركة ، فأفعال الحركة من قبيل [مشى ، هرول ، جرى ،...] تنم عن سلمية في الحركة في حد ذاتها، وهذا ما قصدناه عند قولنا أن سلمية المعجم تؤكدها الوظيفة المرجعية للغة ، لأن سلمية المعجم مباشرة وكثيفة بحيث لا تحتاج لإدراكها إلى جهد عقلي .

[1] ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 123-124.

[2] أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ مكي، دار الفكر، مصر، ط3،(د.ت)، ص 85-91.

وإن كنا حريصين على أن الصفات أكثر الأقسام قيامًا على السلمية وذلك للجانب التقويمي الذي تنهض عليه . ويمكن للمثال التالي توضيح الأمر أكثر :

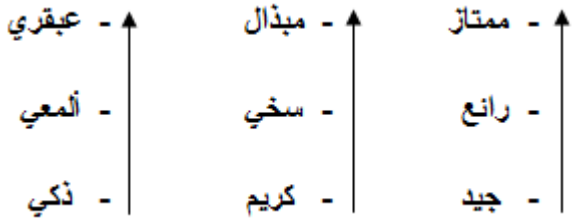

فالصفة التي تقع أسفل السلم هي أقل صفات السلم حجاجية وأقلها قياما بعملية التوجيه الحجاجي ، في حين أن الصفة التي تقع في أعلى السلم هي صفة الطراز التي تحتوي على السمات المشتركة وغير المشتركة لما يكون السلم وبالتالي فهي أكثر مفردات السلم حجاجية.[1]

ب – سلّميّة الصّرف:

إن السلمية في اللغة تتجاوز المستوى المعجمي في ذاته إلى الجانب الصرفي التصريفي وحسبنا دليلا نظام الزيادة في المعجم وطريقة تكون المفردة في اللغة وذلك بالزيادة إليها. وكمثال على ذلك نضرب الأمثلة التالية :

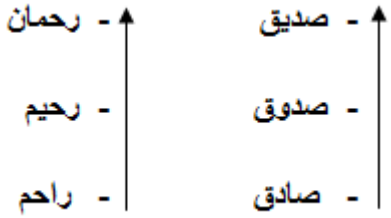

فالانتقال من صادق إلى صدوق ومن صدوق إلى صديق في ما نرى قد استدعته الوظيفة الحجاجية للغة، وبالتالي رقي وقع الكلمة من خلال موقعها في السلم الحجاجي، إذ الانتقال من صيغة إلى أخرى ،بما يقتضيه هذا الانتقال من زيادة ،و إنما هو في الحقيقة انتقال من درجة إلى أخرى في السلم .

[1]– عز الدين الناجع، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 124–125.

كما أن السلمية لا تقوم على النظام الصيغي وحده، بل إن الأمر يتجاوزه إلى نوعية الجموع في العربية [جمع قلة ، جمع الجمع ، جمع الكثرة] و إلى أصناف الحركات قوة وضعفا.

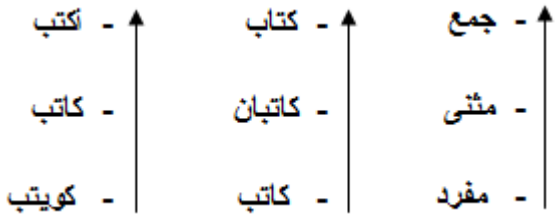

إن سلمية النظام الصرفي تكتشفه المفردة في حد ذاتها في مستوى تكونها وذلك بزيادة بعض الصرافم إلى الجذع الذي تقع عليه الزيادة وكل زيادة تؤدي إلى زيادة معنى جديد ،من ذلك مثلا زيادة الحركة الطويلة والتضعيف للحصول على صيغة المبالغة لتحقيق معنى أقوى لا يحققه اسم الفاعل أو الصفة المشبهة.[1] ومن خلال ما ذكر يمكننا القول أن أجلى صورة توضح هذه التراتبية السلمية هي :

1. **أفعل التفضيل** : هو« المبني على أفعل لزيادة صاحبه على غيره في الفعل، أي في الفعل المشتق هو منه ، فيدخل فيه: خَيرٌ، و شَرٌّ، لكونهما في الأصل: أَخيرَ وأَشرَّ، فخففا بالحذف لكثرة الاستعمال، وقد يستعملان في القياس »[2] ؛ أي أن أفعل التفضيل : صيغة أفعل + شيئان يشتركان في معنى خاص + زيادة احدهما في هذا المعنى الخاص .

والذي زاد يسمى المفضل ، والأخر يسمى المفضل عليه أو المفضول، فيحتل المفضل أعلى رتبة في السلم فيما يحتل المفضول أسفله في الدلالة على النتيجة التي يراد الوصول إليها .

2. **صيغ المبالغة:** تفيد من الكثرة والمبالغة الصريحة في معنى فعلها الثلاثي الأصلي، ما لا تفيده إفادة صريحة، وتأتي على صيغة "فاعل" وأشهر أوزانها خمسة قياسية هي

[1] عز الدين الناجع، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ص 126.

[2] الرضي الأستراباذي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: يحي بشير مصري، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة السعودية، ط1996،1، 765/2.

:« فَعَّال، مِفْعَالٌ، فَعُولٌ، فَعِيلٌ، فَعِل». وهناك صيغ قليلة مقصورة على السماع عند القدماء أشهرها من الفعل الماضي الثلاثي: فَعِيلٌ .[1]

وحين توظيف صيغ المبالغة تشكيل لتراتبية سلمية، تكون فيه صيغة المبالغة في أعلى السلم، فيما يكون اسم الفاعل منه في أدنى السلم الحجاجي، من اجل الوصول النتيجة الحجاجية.

ج- سلّميّة التّركيب النّحوي:

إن التركيب النحوي يوفر تراتبية حجاجية للنصوص حسب مقام الخطاب، فالتركيب الطبيعي للجملة قد لا يستفز المتلقي، أما خرق هذا الترتيب فلا يكون اعتباطيًا بل تستوجبه حالة المتلقي من النص، أو قصدية المتكلم بجعل المتلقي يلتفت إلى هذا الخرق من أجل الإذعان والاقتناع .وتتعدد أشكال الخرق في التركيب، ومنها التقديم والتأخير والحذف حتى إن كان يبدو أمرا طبيعيا، ولكنه يبقى خرقا [2]، وليس التركيب بمعزل عن المحيط العام للنص، فتتدخل عوامل أخرى تسهم تحديد نمطية التراكيب، منها السياق، المقام، المقاصد والأهداف، طبيعة المتلقي، ونأخذ مثال عن ذلك قول الشاعر محمد خليفة التليسي في ديوانه

***أدنو إليك إذا المواقد أخمدت بحنين ملهوف ولوعة فاقد.**

فمن خلال هذا البيت الشعري نلاحظ أنه قدم جواب الشرط وهو قوله: (أدنو إليك) على أداة الشرط (إذا) وجملة الشرط (المواقد أخمدت) فأصل التركيب الشرطي في هذا الموضع:(إذا المواقد أخمدت أدنو إليك).وذلك لأنه أراد الاهتمام بالمقدم على المؤخر، من أجل تقوية حجاجه من خلال هذا الخرق الذي يجعل المتلقي يلتفت إليه.

د - سلّمية النظام البلاغي :

نقصد به «ما يوفره المكون البلاغي للملفوظ من قيمة مضافة عبر تَلوُّنات جهازه ليحتل درجة مهمة من السلم الحجاجي وبالتالي يكون ذا طاقة حجاجية تدفع المتقبل إلى الإذعان والتسليم».

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،،دار الكتاب الجديد المتحدة،ط1،2004، ص 529.

[2] ينظر: أسمهان سهل كاظم، محمد عبد مشكور الكعبي، السلالم الحجاجية و مستوياتها في كتب المجالس النحوية، ص 99-100.

والحقيقة أن سلمية النظام البلاغي ندركها من خلال درجتي الخطاب (حقيقة / مجاز) والمجاز في حد ذاته قائم على التراتبية وحسبنا دليلا أنواع التشبيه وأضرب الاستعارة وصروف الكنايات.[1]

فالاستعارة مثلا قد تعلو استعمال ألفاظ الحقيقة، لأن المرسل لا يفضل استعمالها إلا لثقته بأنها أبلغ من الحقيقة حجاجيا، وهذا ما يرجح تصنيفها ضمن أدوات السلم الحجاجي، إذ تعرف الاستعارة الحجاجية بكونها:«تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي، وهذا ما يود المرسل تحقيقه».

وكذلك الكناية تعد من« مستويات البلاغة الحجاجية فبدل أن تصرح تكني، وينطبق عليها ما قلناه على الاستعارة » [2] ومن ذلك نحو قولنا: (فلان يده طويلة) أبلغ من قولنا: (فلان سارق).

وأيضا التشبيه رغم تنوع أضربه إلا أنه يمكن تصنيفها ضمن سلم حجاجي من الأضعف إلى الأقوى ، لنتحصل على السلم الآتي :

- التشبيه الضمني
- التشبيه التمثيلي
- التشبيه المقلوب
- التشبيه المجمل
- التشبيه المؤكد
- التشبيه المفصل
- التشبيه التام (المستوفي جميع أركانه)

إن قراءتنا للتشبيه على هذا النحو معيارها مدى خفاء المعنى وظهوره فالمعنى في التشبيه المفصل مثلا أكثر جلاء منه في التشبيه الضمني أو التمثيلي. ومعلوم أن الحجاج

[1] عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ص 127.

[2] أسمهان سهل كاظم، محمد عبد مشكور الكعبي، السلالم الحجاجية و مستوياتها في كتب المجالس النحوية، ص 98.

هو لعبة المعنى بين الظهور والخفاء وأطرف الحجاج وأنجعه ما كان المعنى فيه يتراوح بين الظهور والخفاء. وشان التشبيه كشأن الاستعارة فهي على درجات من القوة والضعف.[1]

وكذا الشأن كذلك مع أصناف الخبر، فينبغي على صاحب الخبر أن يأخذ في اعتباره [حالة المخاطب عند إلقاء الخبر، وذلك بان ينقله إليه بصورة من الكلام تلائم هذه الحالة بغير زيادة أو نقصان] ، والمخاطب بالنسبة لحكم الخبر له ثلاث حالات هي[2]:

- أن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقى إليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد ويسمى هذا الضرب **(خبرا ابتدائيا)**.
- أن يكون المخاطب متَرَدِّدًا في الحكم شاكا فيه، ويبغي الوصول إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويحل فيها اليقين محل الشك. ويسمى هذا الضرب **(خبرا طلبيا)**.
- أن يكون المخاطب منكِرًا لحكم الخبر، وفي هذا الحال يجب أن يؤكد له الخبر بمؤكد أو أكثر، على حسب درجة إنكاره من جهة القوة والضعف. ويسمى هذا الضرب **(خبرا إنكاريا)**.

ومنه تشكل هذه الأضرب بدرجات توكيدها تراتبية سلمية، فيحتل الخبر الإنكاري أعلى السلم، فيما يحتل الخبر الطلبي الحجة الوسطى، أما الخبر الابتدائي فيمثل الحجة الأدنى في السلم، ويمكننا تمثيل هذا الأخير في السلم الآتي [3]:

- الإنكاري : والله لقد ضرب علي صالحا ضربا
- الطلبي : والله ضرب علي صالحا
- الابتدائي : ضرب علي صالح

[1] ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 128.

[2] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان، ط1– 2009، ص 52، 53.

[3] عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، المرجع السابق، ص 129.

إن هذه السلمية الناجمة عن اللغة بجميع أنظمتها معجما وصرفا وبلاغة هي التي سيقع الانطلاق منها في تحديد سلمية الخطاب/ الإنجاز ويضاف إليها ما يوفره التركيب وخصائصه من علائق خاصة.

وصفوة القول إن سلمية اللغة مبثوثة في جميع أنظمتها يكمل بعضها بعضًا، ولا سيما إذا أضيف عامل المقام أو وضعيات الخطاب، فإنها تساعدنا على اكتشاف هذه السلمية علاوة على ما صرح به "أنسكومبر وديكرو" من أن الوظيفة الأولية للغة هي الوظيفة الحجاجية، ويقتضي إظهار هذه الوظيفة أن تكون اللغة سلمية تراتبية كما تتفاضل الأقوال وتتمايز نجاعتها في استمالة المتقبل وضمان تسليمه.

الفصل الثاني: سلالم الموضوعات المطلقة والمقيدة في خطاب الموطأ توطئة

أولاً: ترجمة موجزة للإمام مالك

ثانيًا: التعريف بالموطأ

ثالثًا: تراتبية المعاني العامة وتطبيقاتها في خطاب الموطأ

1. سلم الموضوعات العام في خطاب الموطأ.
2. تراتبية المصادر في خطاب الموطأ.
3. تراتبية الأسانيد في خطاب الموطأ.
4. تراتبية الأحاديث من حيث الصحة في خطاب الموطأ.

رابعًا : تراتبية المعاني الخاصة وتطبيقاتها في خطاب الموطأ.

1. سلمية المعجم في خطاب الموطأ.
2. سلمية التقسيم البلاغي في خطاب الموطأ.
3. سلمية التركيب النحوي في خطاب الموطأ.
4. سلمية الصرف في خطاب الموطأ.

توطئة

إن أحسن الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار...

وإنه من المعلوم أن السنة النبوية هي الأصل الثاني للدين، فهي وحي من الله والمبينة لما أشكل من كتاب الله، فلما كانت للسنة هذه المكانة في الإسلام أولاها السلف غاية اهتمامهم وبذلوا من أجل جمع الأحاديث وأسانيده كل ما في وسعهم، حتى رحلوا المسافات البعيدة على بعد الشقة وعظم المشقة طلبًا للحديث وبحثًا عن أسانيده لقوله صلى الله عليه وسلم "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقا إلى الجنة "[1]

فتنوعت عناية السلف بالسنة النبوية عبر العصور بداية من عصر الصحابة رضوان الله عليهم – فكانت جهودهم هي الأساس في نشر الدين وحماية السنة من كل ما يشوبها حتى وصلت إلى من بعدهم خالية من الزيف والتحريف.

ثم تولى التابعين هذه المسؤولية ، وبذلوا كل جهدهم في خدمة السنة النبوية حفظًا، وتدوينًا، وتصنيفًا، ومن أوائل تلك المصنفات وأجلها "موطأ الإمام مالك"، وهذا الأخير هو موضوع دراستنا، الذي يعد من أهم أصول كتب الحديث، ومن أشرفها منزلة وأعلاها سندا، وقبل الحديث عن الموطأ ينبغي أن نقدم تعريفًا موجز للإمام مالك رحمه الله.

[1] ينظر: محمد بن مطر الزهراني، تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، دار الهجرة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،ط1، 1996، ص 39.

أولاً : ترجمة موجزة للإمام مالك:

1– اسمه ونسبه ومولده :

هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان، بن خثيل، بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح الأصبحي الحميري أبو عبد الله المدني، إمام دار الهجرة، وعدادهم في بني تيم بن مرة من قريش حلفاء عثمان بن عبد الله التيمى، أخى طلحة بن عبيد الله[1].

وأمه هي العالية بنتُ شريك بن عبد الرحمن ابن شريك الأزدية، وأزد: من أشهر قبائل العرب الحميرية القحطانية، تنسب إلى الأزد بن الغَوْث بن نبت بن مالك بن أُدَدَ ابن زيد بن كهلان، فهي تلتقي مع زوجها أنس بأنهما من عرب اليمن[2].

ولد الإمام مالك رحمه الله سنة ثلاث وتسعين للهجرة بذي المروة، عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم [3].

وقد بدأ رحلته في طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، وقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة أبى جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد.[4]

2 – شيوخه وتلاميذه :

أدرك الإمام مالك من الشيوخ ما لم يدركهُ أحدُ بعده، فكان من أخذ عنه تسعمائة شيخ ثلاثمائة من التابعين، وستمائة من تابعيهم، واختار منهم من ارتضى دينه وفقه وقيامه بحق الرواية، وشروطها، وخلصت الثقة به، وترك الرواية عن أهل دين وصلاح لا يعرفون الرواية ومن كان له الأثر الظاهر في حياته وحديثه وفقهه ومن أشهرهم :ابن هرمز، ونافع مولى ابن عمر، وزيد بن أسلم، و الزُّهري، وأبو الزِّناد، وأيوب السختياني، وهشام بن عُروة،

---

[1] أحمد فريد، من أعلام السلف، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، إسكندرية، ط1، 1998، ص 345.

[2] ينظر :عبد الغني الدقر، الإمام مالك بن انس إمام دار الهجرة، دار القلم – دمشق، ط3، 1998، ص 24.

[3] ينظر: نفسه ، ص 21.

[4] أحمد فريد، من أعلام السلف، المرجع السابق، ص 346.

ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعائشة بنت سعد بن أبي وقاص، وربيعة ابن أبي عبد الرحمن...الخ.[1]

وروى عنه من شيوخه الزهري، وربيعة، ويحيى بن سعيد وغيرهم، ومن أقرانه : الأوزاعي، والليث، وابن وهب، والشافعي، وأبو عاصم، ويحيى بن يحيى، ومصعب الزبيدي، وهشام بن عمار، وخلائق آخرهم احمد بن إسماعيل السهمي.[2]

3- أقوال العلماء فيه:

قال أبو مصعب : كان الناس يزدحمون على أبواب مالك و يقتتلون عليه من الزحام لطلب العلم.

ولم يجلس مالك للفتيا ورواية الحديث حتى شهد له سبعونا شيخا من كبار علماء الحجاز أنه أهل لذلك.

يقول حماد بن سلمة : لو قيل : اختر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم إماما يأخذون عنه دينهم – لابد من ذلك- لرأيت مالكا لذلك موضعا ورأيت ذلك صلاحًا للأمة.

وقال النسائي: أمناء الله على علم رسول الله صلى الله عليه وسلم : شعبة بن الحجاج ومالك بن أنس، ويحيى بن سعيد القطان.

وروى ابن وهب عن مالك أنه قال : لقد أدركت بالمدينة أقواما لو استسقى بهم القطر لسقوا، وقد سمعوا من العلم والحديث، منهم مالك، ذلك أنهم كانوا قد ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد. يقول الإمام الشافعي : إذا جاءك الحديث عن مالك فشد يدك عليه.[3]

4- مؤلفاته ووفاته :

إن من أعظم مؤلفاته الموطأ ومنها أيضا المجالسات لابن وهب دون فيه ما سمعه من إمامه في مجالسه؛ ورسالة في القدر أرسلها إلى تلميذه ابن وهب؛ ورسالته في الأقضية؛ ورسالته في الفتوى ولا سبيل إلى القطع بصحة نسبة هذه الآثار إليه وإن كانت صحة النسب إليه الأرجح.

---

[1] ينظر:عبد الغني الدقر، الإمام مالك بن انس إمام دار الهجرة ، ص 61-62.

[2] أحمد فريد، من أعلام السلف، ص 360.

[3] ابن مالك، الموطأ، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار، د ط، 2006، ص 4.

أما وفاته فقال أبو مصعب : لعشر مضت من ربيع الأول وكذلك قال ابن وهب وقال ابن سحنون : في حادي عشر ربيع الأول وكلهم قالوا في سنة تسع وسبعين ومائة رحمة الله عليه.[1] ورحل الإمام مالك – رحمه الله – وترك لنا ثروة في الحديث والفقه جمعها في كتابه العظيم الموطأ.

ثانيًا: التعريف بكتاب الموطأ :

يعد كتاب "الموطأ" من أوائل كتب الحديث وأشهرها في ترتيبه وتركيبه، وفي اجتهاده ونقله، وفي حديثه وفقهه، وقد كان أعظمَ مرجع في عصره وأقدمَه، قال القاضي: "لم يُعتنَ بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناءَ الناس بالموطأ، فإن الموافق والمخالف أجتمع على تقديره، وتفضيله، وروايته، وتقدم حديثه وتصحيحه فأما من اعتنى بالكلام على رجاله، وحديثه، والتصنيف في ذلك، فعددٌ كثيرٌ من المالكيين وغيرهم من أصحاب الحديث والعربية.[2]

1 – الموطأ في اللغة :

جاء في المعجم الوسيط : « وَطُؤَ الموضعُ يَوْطُؤُ وَطاءةٌ، ووُطُوءةٌ : لان و سَهُل، فهو وطِيءٌ. ووَطَأَ الموضعَ صيْره وطيئاً، والموطأ:المسهَّل الميسَّر ،يقال:رجلٌ مُوَطَأُ الأكناف: دَمِثٌ كريمٌ مضيافٌ،لا يتحمل قاصدُه من زيارته عَنَتا.»[3] نستنتج من خلال هذا التعريف أن الموطأ بمعنى المسهل والميسر.

وقال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الكتاني الأصبهاني: « قلت لأبي حاتم الرازي موطأ مالك لما سمي بالموطأ ؟ فقال:شيء قد صنفه ووطأه للناس حتى قيل:موطأ مالك كما قيل: جامع سفيان»[4]، وقال مالك:«عرضت كتابي هذا على سبعينا فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ»،[5] فلفظة الموطأ بمعنى الممهد المنقح.

---

[1] صبرى إبراهيم أحمد، منهج الإمام مالك في تأليف الموطأ، حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر بالمنوفية، العدد 33، 2014 ، ص 10.

[2] عبد الغني الدقر، الإمام مالك بن انس إمام دار الهجرة ، ص 103.

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، مادة (وطئ).

[4] عبد العظيم الدخري، الإمام مالك ومنهجه في الموطأ، مجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات العربية والإسلامية، جامعة الإمام المهدي السودان، العدد 8 ،2014، ص 149.

[5] نفسه، ص150.

وقد ذكر في سبب تأليفه للموطأ – رحمه الله– أن المنصور لما حج اجتمع بالإمام مالك وسمع منه الحديث والفقه وأعجب به، فطلب منه أن يدون في كتاب ما ثبت عنده صحيحًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسائل العلم، وطلب أن يوطئه للناس، أي يجعله سهل التناول، فاستجاب الإمام مالك لطلب المنصور، وصنف كتابه العظيم الموطأ، وقال ابن كثير: « وقد طلب المنصور من الإمام مالك أن يجمع الناس على كتابه فلم يجبه إلى ذلك، وذلك من تمام علمه واتصافه بالإنصاف، وقال: إن الناس قد جمعوا وأطلعوا على أشياء لم نطلع عليها»[1].

2 – موضوعه :

اشتمل على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة وفتاوى التابعين وقد انتقاه من مئة ألف حديث كان يرويها.[2]

3 – شروح الموطأ :

وللموطأ شروح كثيرة أهمها : الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، كلاهما لابن عبد البر(ت463 هـ) .[3]

4 – رواة الموطأ :

قال الشافعي : المواطأت المعروفة عن مالك إحدى عشرة، ومعناها متقارب، والمستعمل منها أربعة، موطأ يحيى بن يحيى، وموطأ ابن بكير، وموطأ مصعب– وهو أبو مصعب احمد بن أبي بكر الزهري– وموطأ ابن وهب.

واختلف الناس في تفضيل كبار رواة الموطأ إلا أن كثير منهم من اعتمد رواية الموطأ ليحيى بن يحيى بن كثير الليثي، وهي أشهر عند علماء الحديث وقد بقيت، وضعف استعمال غيرها.[4]

---

[1] عبد القادر سليماني، موطأ مالك بن أنس رحمه الله، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، الجزائر، العدد4، 2007 ،ص 160.

[2] عبد الغني الدقر، الإمام مالك بن انس إمام دار الهجرة ،ص 92.

[3] نفسه، ص 94.

[4] نفسه، ص 111.

5 – ثناء العلماء عليه :

وقد أثنى كثيرٌ من العلماء على الموطأ، قال الإمام الشافعي: « ما في الأرض كتاب بعد كتاب الله عز وجل أنفع من موطأ مالك، وإذا جاء الأثر من كتاب مالك فهو الثُّريَّا»، وقال أيضاً: « ما بعد كتاب الله تعالى كتابٌ أكثرُ صواباً من موطأ مالك».

وقال ابن مهدي: « لا أعلم من علم الإسلام بعد القرآن أصح من موطأ مالك»، وقال: « ما وضع في الأرض كتاب أقرب إلى القرآن من كتاب مالك بن أنس» .

وقال ابن وهب: « من كتب موطأ مالك فلا عليه أن يكتب من الحلال والحرام شيئاً»، وسُئل الإمام أحمد بن حنبل عن كتاب مالك بن أنس فقال: « ما أحسنه لمن تَديَّن به».

وقال عمر بن أبي سلمة: « ما قرأت كتاب الجامع من موطأ مالك إلا أتانا آت في المنام فقال هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا».[1]

[1] عبد الغني الدقر، الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، ص 106.

ثالثا: تراتبية المعاني وتطبيقاتها في خطاب الموطأ

1. سلالم الموضوعات المطلقة في خطاب الموطأ :

تضمن كتاب الموطأ موضوعات عدة، فقد ألف الامام مالك الموطأ ورتبه على الكتب والأبواب الفقهية حيث بدأه بكتاب الوقوت فالطهارة فالصلاة فالسهو فالجمعة فباقي الصلوات ثم كتاب القبلة والقرآن والجنائز والزكاة وغير ذلك، وختمه بكتاب الجامع وهو كتاب انفرد بتصنيفه فجمع فيه عددا من الأبواب المختلفة مثل الكلام، والعين، وحس الخلق، والاستئذان، والعلم وغير ذلك. وقد سار سياق الكتب والأبواب في طرح المواضيع متسلسلا ومترابطا. وسنمثل تراتبية مواضيع الموطأ في السلم التالي:

(ن) : سلم الموضوعات العام

ق1 - الفرائض (الصلاة / الزكاة / الصيام / الحج)

ق2 - المندوبات (الجهاد/ الصيد/ العقيقة...)

ق3 - الأحوال الشخصية والنسب(الميراث/ الزواج/ الطلاق..)

ق4 - المعاملات المالية (البيوع/ القراض/ الكراء/ الأقضية...)

ق5 - الحدود (الزنا / الخمر/ القتل ...)

ق6 - كتاب الجامع (الخلق/ العين/ الرؤيا / الشعر/ صفات النبي صلى الله عليه وسلم ...)

لعل تنوع الموضوعات في خطاب الموطأ بين أبوابه وأكسبه مكانة عالية وأصبح مرجعا لجميع كتب الفقه لاشتماله على الأغلب جميع الاشكاليات التي قد تواجه المسلم في حياته، وقد اتخذ السلم مسارًا تنازليا، حيث بدأ بالحجة الأقوى إلى الحجة الأضعف، واحتلت الفرائض أول مرتبة في السلم، لأن الفرائض من أركان الاسلام فقد بني الإسلام على خمسة أركان: الشهادتين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، ودليل الصلاة والزكاة في قوله تعالى: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ ، [1] ثم الصيام قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين أمنوا كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾،[2] وجاء في الحج قوله

[1] سورة البينة : الآية 5.

[2] سورة البقرة : الآية 183.

تعالى: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾،[1] فقد جعل الله بهذا أركان الإسلام المرتبة الأولى في الإسلام لأنها واجبة على كل مسلم.

ثم تأتي بعد الفرائض مباشرة المندوبات:(الجهاد، والنذور، والإيمان، الضحايا، الذبائح، الصيد، العقيقة)، فهي من الأمور التي يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها، والتي دعا الشرع إلى فعلها فالمندوب والواجب هما حكمان من الأحكام التكليفية الخمس فالمندوب هو: « ما طلب الشرع فعله من المكلف طلبًا غير لازم أو هو ما يحمد فاعله ولا يذم تاركه».[2] ثم يليه الميراث، والمسمى عند العلماء بعلم المواريث وهذا الأخير يأتي بعد حفظ القرآن الكريم في المرتب الثانية. ثم الأحوال الشخصية: (النكاح، والطلاق، والرضاع...)،التي هي سبب في الميراث، ثم المعاملات المالية: (البيوع، القراض، والكراء، والشركة...)، وآداب البيع أيضًا.

فيقول مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النجش قال مالك: والنجش: أن تعطيه بسلعته أكثر من ثمنها وليس في نفسك اشتراؤها فيقتدى بك غيرك))[3] .و الكثير من الأحاديث الدالة على آداب البيع و الشراء فمثل هذه المعاملات يجب أن تكون منظمة وبها قوانين تسيرها فهي رزق الانسان التي يدبر بها لقمة عيشه ويستطيع الزواج وإقامة أسرة و التكفل بها ومواصلة حياته بعز وغنى عن السؤال والحرام، ثم الحدود بما تشمله من زنا، وخمر، وقتل، ثم كتاب جامع للكثير من الموضوعات منها: عن صفات النبي عليه الصلاة والسلام، وصفات عيسى عليه السلام، وصفات جهنم، والأخلاق، واللباس، والعين، ومواضيع كثيرة متفرقة والعلم بها لازمٌ .

[1] سورة آل عمران : الآية 97.

[2] محمد تركي كتوع، تحول المندوب إلى واجب في الفقه الإسلامي: أسبابه– تطبيقاته، مجلة جامعة الشارقة دورية علمية محكمة، جامعة الشام العالمية، سوريا –حلب– المجلد 15، العدد 1، 2018، ص 55.

[3] الإمام مالك، الموطأ ، كتاب البيوع ، باب ما ينهى عنه من المساومة و المبايعة، ص 415–416.

أ – تراتبية الفرائض في خطاب الموطأ :

كما ذكرنا سابقًا أن الفرائض أصل من أصول الإسلام وبما أنها من أصول الإسلام فالأكيد أن كل موحد يبني عليها معتقده والفرائض الخمسة كما ذكرناها (الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج)، وقد حاولنا وضعها في السلم الآتي:

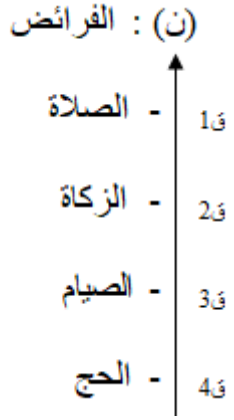

نلاحظ من السلم الموضح أعلاه أن الصلاة احتلت المرتبة الأولى في السلم، لأنها عمود الدين وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : ((إنَّ أوَّل ما يُسْأل عنه العبدُ يوم القيامة مِن عمله صلاته؛ فإنْ تُقبِّلَت منه صلاتُه تُقُبِّل منه سائرُ عمله، وإنْ رُدَّت عليه صلاته رُدَّ عليه سائرُ عمله))[1]، وجاء عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله قال: ((ألا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات أصباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط)). [2]

وفي هذا الحديث تتبين أهمية الصلاة وقيمتها عند الله تعالى، فالصلاة تطهر القلوب وتزيل الهموم وتبعد وسوسة الشيطان وإتباع النفس، وتليها الزكاة وهي أحد أركان الإسلام و مبانيه العظام وهي قرينة الصلاة في مواضع كثيرة من كتاب الله عز وجل، وقد أجمع المسلمون على فريضتها إجماعا قطعيا؛ فمن أنكر وجوبها مع علمه بها فهو من الظالمين المعترضين للعقوبة والنكال،[3] ومن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة ﴾

---

[1] الإمام ابن القيم ، كتاب الصلاة، تح: عدنان بن صفا خان البخاري، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط 1،1431هـ ص 16.

[2] الإمام مالك، الموطأ، كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب القنوت في الصبح، ص 96.

[3] محمد بن جميل زينو، أركان الإسلام والإيمان من الكتاب والسنة الصحيحة، دار الحديث الخيرية ،،ط 5 ، د.ت، ص 49.

[1]، ثم الصيام وهو أيضا من العبادات العظيمة التي تجعل المسلم يشعر بإخوانه المسلمين المحتاجين، و تقوي صفة الصبر، وتهذب النفس، وتعينه على ترك المحرمات والشهوات،ثم بعد ذلك تأتي فريضة الحج التي جاءت أسفل السلم، لأنها واجب لمرة واحدة في عمر الإنسان وهي لكل قادر عليه وإن لم يقدر فليس عليه إثم.

فمن يصلي ويعطي زكاة أمواله فتحصيل حاصل أنه يصوم وإنه إن قدر على أداء فريضة الحج فإنه بالتأكيد سيؤديها.

[1] سورة البقرة، الآية:43.

ب – تراتبية سلالم موضوعات الصلاة في خطاب الموطأ :

احتلت وقوت الصلاة قمة السلم حيث أن الصلاة لا تصح قبل دخول وقتها، فإذا دخل وقت الصلاة تجب الطهارة والوضوء وهي المرتبة الثانية من السلم وهما شرطان لأداء الصلاة، فإذا قدم العبد لصلاته قدم إليها في وقتها متطهرًا فيقول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم

إلى الكعبين... ﴾.[1]، فالواجب الطهارة قبل الصلاة لما في الوضوء من فوائد؛ فعن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبِي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن غسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرجت من يداه كل خطيئة بطشتها مع الماء أو مع آخر قطر من الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيًا من الذنوب))،[2] ثم أفرد كتابًا لصلاة السهو وهي من المشاكل التي تواجه المصلي أثناء الصلاة السهو بغير عمد فالشيطان عدو الإنسان وقد يأتي للعبد في صلاته ويلهيه كما جاء في الحديث: عن يحيى عن مالك عن ابن شهاب عن أبِى سلمى بن عبد الرحمن بن عوف عن أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن أحدكم إذا قام يصلي جاءه الشيطان فلبس عليه حتى لا يدرك كم صلى فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس))،[3] ثم كتاب صلاة الجمعة لأجرها الكبير وقيمتها، وهذا اليوم هو أحب أيام الأسبوع إلى الله تعالى وعيد للمسلمين لما فيه من فضائل، فعن مالك عن صفوان بن سليم قال مالك لا أدرِي عن النبي صلى الله عليه وسلم أم لا أنه قال: ((من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير عذر ولا علة طبع الله على قلبه)). [4]

ثم الصلوات المستحبة عند الله تعالى الصلاة في رمضان وهي صدقة على مصليها وصلاة الليل فمن يصلي صلاة رمضان والليل فيستلزم أنه يصلي صلاة الجماعة. ثم أقصر الصلاة في السفر؛ السفر من الظروف التي تجعل الإنسان يصلي منفردًا جامعًا لصلاته، فعن مالك عن داوود بن الحصين عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الظهر والعصر في سفره إلى تبوك[5]. ثم صلاة العيدين والخوف والكسوف والاستسقاء أيضا فهي من الصلوات التي تقام جماعة وهي صلوات مستحبة، يليها باب القبلة وأدآبها فالمؤمن عليه أن يستقبل القبلة في كل صلاة، ثم كتاب القرآن وبالقرآن

[1] سورة المائدة، الآية : 6.

[2] الإمام مالك، الموطأ، كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء، ص 19.

[3] الإمام مالك، الموطأ، كتاب السهو، باب العمل في السهو، ص 57..

[4] الإمام مالك، الموطأ، كتاب الجمعة، باب ما جاء في السعي يوم الجمعة، ص 64.

[5] الإمام مالك، الموطأ، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب الجمع بين الصلاتي في الحضر والسفر، ص 82.

تقام الصلوات ويرتل فيها ويُقرا بقلب خاشع، ثم كتاب الجنائز تذكيرًا للمؤمن بالموت وأن الموت قادم لا محالة وذكرت الموت في كتاب الصلاة؛ لأنها هي التي يقبل بها عمل المسلم أو لا يقبل في آخرته.

2. تراتبية مصادر التشريع في خطاب الموطأ :

(ن) : مصادر التشريع الإسلامي

ق1 - القرآن الكريم
ق2 - السنة النبوية
ق3 - الإجماع
ق4 - القياس
ق5 - المصالح المرسلة
ق6 - الاستحسان
ق7 - العرف والعادات
ق8 - الذرائع
ق9 - الاستصحاب

يتضح لنا أن هذا الترتيب الذي تدرج به السلم هو ترتيب تنازلي بحيث افتتح بالحجة الأقوى وهو القرآن الكريم، فالقرآن الكريم هو دستور الإسلام ويعد مرجعه الأساسي وأساس التشريع ومصدره محفوظ من عند الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يتخلله أي تحريف لقوله تعالى: « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» .[1] وهو وحي من الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ،ثم الحجة الموالية السنة النبوية، فالإجماع، فالقياس، وذلك بدليل حديث معاذ بن جبل الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيًا إلى اليمن، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: ((كيف تقضي يا معاذ إذا عرض لك قضاء؟، قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟، قال: فبسنة رسول الله، قال فإن لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، قال: أجتهد برأيي، ولا ألوو ولا أقصر في الاجتهاد، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال : الحمدلله الذي وفق

[1] سورة الحجر: الآية 9.

رسول الله لما يرضي الله ورسوله))[1]. وقال تعالى : « يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شي فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا» .[2]

ونجد هنا أن الأساس في التشريع هو القرآن الكريم ثم السنة النبوية ثم الاجتهاد ويقصد به الإجماع والقياس، ثم بعد ذلك تأتي مصادر التشريع المختلف فيها ولم يتفق العلماء على الاستدلال بها كثيرًا وهي: المصالح المرسلة، الاستحسان، العرف والعادات، والذرائع، والاستصحاب.

3. تراتبية الأسانيد في خطاب الموطأ:

الإسناد هو « حكاية طريق المتن ورفع الحديث إلى قائله بسنده، في أصله خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة، ليست لغيرها من الأمم، وسنة بالغة من السنن المؤكدة»[3]، قال الإمام عبد الله بن المبارك : « الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء »[4]، وقال الإمام الشافعي : « مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل »،[5] فيجب على كل مسلم التحري قبل أن ينسب الكلام لأحد، خاصة إذا كان منقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك المنقول عن الصحابة– رضي الله عليهم أجمعين.

ويعد الإمام مالك– رحمه الله– أول من سلك منهج التحري، وانتقاء الأحاديث وفق معايير وضوابط محددة، فأثمر هذا الجهد الذي أمض فيه فترة طويلة وهو يهذب، وينقح حتى اطمأن إلى دون، الأمر الذي جعل الإمام الشافعي – رحمه الله – يقول:« ما على الأرض كتاب بعد كتاب الله أكثر صوابًا من موطأ مالك بن أنس»[6]، وقد جعل الإمام مالك

---

[1] محمد بن عبد الله الوزره الدوسري، تفسير الصحابي الجليل معاذ بن جبل، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، يناير 2012،ص 16.

[2] النساء: الآية 59.

[3] محفوظ الرحمن الفيضي، ثنائيات موطأ الإمام مالك – رحمه الله–، لطائف لنشر الكتب والرسائل العلمية، الكويت، ط1، 2016، ص 10.

[4] نفسه، ص 11.

[5] نفسه، ص 11.

[6] نجيب راشد، أسانيد موطأ الإمام مالك(رحمه الله)، مجلة الأصالة مجلة علمية محكمة، جامعة الزاوية– ليبيا– العدد7،2023،ص 120.

في كتابه الحديث الصحيح والمرسل والبلاغات...إلخ، إلا أن "الموطأ" تميز بخصائص ميزت إسناده من أهمها : صحة الإسناد وعلو السند، وهذا ما سنوضحه في السلم الآتي :

(ن) : أصح الأسانيد في موطأ الإمام مالك بن أنس

ق1 - مالك عن نافع عن ابن عمر

ق2 - مالك عن ابن شهاب الزهري،عن سالم بن عبد الله،عن أبيه

ق3 - مالك عن ابن شهاب الزهري،عن سالم بن عبد الله بن عمر،عن أبيه عن جده

ق4 - مالك عن ابي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة

ق5 - مالك عن ابن شهاب الزهري، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة

ق6 - مالك عن ابن شهاب الزهري، عن أنس بن مالك

ق7 - مالك عن ابن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين

ق8 - مالك عن هشام بن عروة ابن الزبير عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين

ق9 - مالك عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه عن عائشة

ق10 - مالك عن عبد الرحمن بن حرملة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

ق11 - مالك عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب

ق12 - مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب

ق13 - مالك عن إسماعيل بن أبي حكيم بن عبيدة بن سفيان الحضرمي عن أبي هريرة

ق14 - مالك عن يحيى بن سعيد،عن القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين

نلاحظ من خلال السلم الموضح أعلاه أن الحجة التي أعلى السلم وهي مالك، عن نافع، عن ابن عمر، أصح أسانيد موطأ الإمام مالك، وهذا ما يسمى "بعلو السند" في درجة الأحاديث الذي يعني: « قلة الوسائط في السند أو قدم سماع الراوي أو وفاته »،[1] ولأن قرب الإسناد قرب إلى رسول صلى الله عليه وسلم، فالإمام مالك بينه وبين الرسول عليه الصلاة

[1] محفوظ الرحمن الفيضي، ثنائيات موطأ الإمام مالك – رحمه الله–، ص 11.

والسلام رجلان فقط وهما نافع وابن عمر، فيعد نافع علامة في الفقه، كثير الرواية للحديث، وأشهر من لازمه الإمام مالك بن أنس وحدث عنه، وقد قال الحاكم في "معرفة علوم الحديث ":« وقد اختلف أئمة الحديث في أصح الأسانيد:فحدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب قال ثنا محمد بن سليمان قال سمعت محمد بن اسماعيل البخاري يقول : أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر»[1].

وهذه السلسة تسمى بسلسلة الذهب عند أهل السنة والجماعة، واعتبروها أصح الأسانيد لأنها الأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ثم يأتي بعدها الحجة الموالية مالك عن ابن شهاب الزهري، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، ثم عن جده، وهكذا إلى آخر الحجج التي جاءت مرتبة ترتيبا تنازليا من الأقوى إلى الأضعف، فكلما كان الحديث أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الحديث أقرب إلى الصحة وكلما ما بعد كان أقل في الصحة، وهذا من فوائد العلو قال ابن الصلاح رحمه الله: «العلو يبعد الإسناد من الخلل؛ لأن كل رجل من رجاله يحتمل أن يقع فيه الخلل من جهته سهوًا أو عمدًا، ففي قلتهم قلة جهات الخلل، وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل، وهذا جلي واضح».[2]

ونحوه قول ابن دقيق العيد :« لا أعلم وجهًا جيدًا لترجيح العلو إلا أنه أقرب إلى الصحة وقلة الخطأ، فإن الطالبين يتفاوتون في الإتقان فإذا كثرت الوسائط ووقع من كل واسطة تساهل كثر الخطأ والزلل، وإذا قلت الوسائط قل»[3]. ولذلك فالعلو في الإسناد ورواية الحديث مطلوب مرغوب فيه وأفضل من النزول.

4. تراتبية الأحاديث من حيث الصحة في خطاب الموطأ :

كان في عرف العلماء القدامى أن الحديث ينقسم إلى نوعين: صحيح، وضعيف، والضعيف عندهم ينقسم إلى ضعيف متروك لا يحتج به وإلى ضعيف حسن، وأول من قسم الحديث إلى ثلاثة أقسام: صحيح وحسن وضعيف هو أبو عيسى الترمذي في جامعه، والحسن عنده تعددت طرقه ولم يكن في روائه متهم وليس بشاذ فهذا الحديث وأمثاله يسميه

---

[1] الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، تح : السيد معظم تحسين، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، د ط، 1935، ص 53.

[2] محفوظ الرحمن الفيضي، ثنائيات موطأ الإمام مالك – رحمه الله–، ص 12.

[3] نفسه، ص13.

أحمد ضعيفا ويحتج به، ولهذا مثل أحمد الحديث الضعيف الذي يحتج به في حديث عمرو بن شعيب وحديث ابراهيم الهجري ونحوهما وهذا مبسوط في موضعه ومن الملاحظ في هذا القول أن الحديث الصحيح سيرد في أعلى السلم بالمقارنة مع الحجج الأخرى، يفسر هذا بأن الحديث الصحيح له قوة حجاجية عالية وسيكون السلم الحجاجي الذي سنحصل عليه بهذا الشكل:

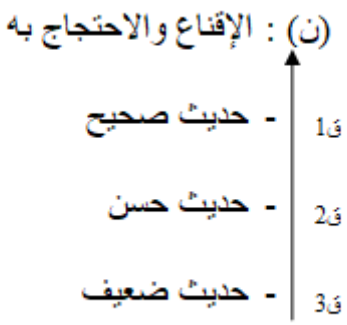

إذن هناك علاقة بين صحة الحديث والسلم الحجاجي فالقول الذي يقع في أعلى درجات السلم هو الدليل الأقوى ويمكن الاحتجاج به. وبعبارة أخرى فإن الحجاجية تكون متفاوتة في قوتها الحجاجية، و العلاقة التراتبية بينها تكون باعتبار السند والمتن والقوة الحجاجية، وقد عرف منظرو المسلمين من الأصوليين وغيرهم التصانيف السلمية، منها الأحكام الشرعية يترتب الواجب والحرام في طرفي السلم وما درجة المندوب والمكروه وبينهما المباح كما التزموا القواعد الإسلامية في تحديد علاقات الأحكام بعضها ببعض وأصناف النسخ وغيرها.[1]

[1] بوسلاح فايزة، السلالم الحجاجية في القصص القرآني– مقاربة تداولية – أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات ،قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران1 احمد بن بلة،2014–2015،ص111,112.

ربعا: تراتبية المعاني الخاصة وتطبيقاتها في خطاب الموطأ :

بعد دراستنا لسلالم الموضوعات المطلقة، ننتقل إلى دراسة سلالم الموضوعات المقيدة، « فالسُّلم المقيد هو السُّلم الحجاجي المتدرِّج معجميا، أوالمقولب بقوالب الصيغة الصرفية التي يتميز بها السلم الصرفي، أو المتَّصف بالتشكيل البلاغي الذي يتميز به السلم البلاغي، أي أنه يضم خواص السلالم المعجمية والصرفية والبلاغية وغيرها ... » [1]

1. سُلَّمِيَّة المعجم في خطاب الموطأ:

كما ذكرنا سالفًا أن سلمية المعجم تؤكدها الوظيفة المرجعية للغة،فهي مباشرة واستيعابها لا يكلفنا أي جهد أو تفكير ، فيمكن أن نمثل المستوى المعجمي للسلم الحجاجي في "كتاب الموطأ" مباشرة وبوضوح ومنها ما جاء في الحديث التالي: وحدثني عن مالك عن يزيد بن زياد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: أنه سأل أبا هريرة عن وقت الصلاة فقال أبو هريرة: ((أنا أخبرك صل الظهر إذا كان ظلك مثلك، والعصر إذا كان ظلك مثليك ، والمغرب إذا غربت الشمس ، والعشاء ما بينك ، وبين ثلثي الليل ، وصل الصبح بغبش يعني الغلس))[2].

فمن خلال هذا الحديث يمكن رسم السلم الآتي:

(ن) : إقامة الصلاة الدالة على صدق الإيمان

- ق1 - الغلس [الصبح]
- ق2 - ما بينك وبين ثلث الليل [العشاء]
- ق3 - غروب الشمس [المغرب]
- ق4 - إذا كان ظلك مثليك [العصر]
- ق5 - إذا كان ظلك مثلك [الظهر]

المتأمل لحديث مالك يجد أن مالك ابتدأ بصلاة الظهر، ثم العصر، ثم المغرب، ثم العشاء ،ثم بعد ذلك صلاة الصبح، فصلاة الصبح هي أقوى حجة لتحقيق النتيجة في بلوغ القرب

[1] لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، ص 117.

[2] الإمام مالك، الموطأ، كتاب وقوت الصلاة ،باب ما جاء في دلوك الشمس وغسق الليل، ص 7.

الصادق لله سبحانه وتعالى، فمن يقوم لصلاة الصبح ويخيرها عن ملذات الدنيا وهو النوم فتحصيل حاصل أنه يصلي جميع الفرائض في وقتها.

وفي حديث آخر حدثني يحيى عن مالك عن عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بيننا وبين المنافقين شهود العشاء والصبح لا ستطيعونهما أو نحو هذا))[1].

وفي قوله حدثني يحيى عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء))[2].

وعليه يمكننا رسم السلم الاتي :

(ن) مراعاة الفروقات بين الناس في صلاة الجماعة بالتخفيف فيها

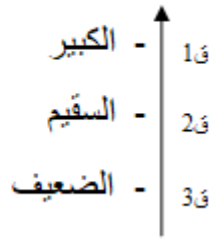

فالصفة التي تقع في أسفل السلم هي أقل صفات السلم الحجاجي، وأقلها قيامًا بعملية التوجيه الحجاجي، في حين أن الصفة التي تقع في أعلى السلم هي الصفة الحاملة للصفات المشتركة لمكونات السلم، وبالتالي هي أكثر مفردات السلم حجاجيًا.

وقد رأينا أن كتاب الموطأ حمل بين صفحاته كلمات ومشتقاتها والكثير من الصفات والحقول المعجمية التي يمكن أن تشكل سلما فوقع اختيارنا على كل من:

1-الامور الدينية: اشتمل كتاب الموطأ على مرادفات للدين ومشتقاته وحقوله الدلالية والتي تميزت بفوارق لغوية متفاوتة الدلالة ويمكن تقسيمها إلى ثلاث محاور كالآتي:

أ- **سلم مدارج العبادات:** العبادات هي الموضوع المحوري والرئيسي في كتاب الموطأ، فجاءت مدارج العبادة ومعانيها في السياق العام للكتاب بكثرة وبمعاني متلونة فقسمناها ووضعناها في سلم معجمي كالتالي:

[1] الإمام مالك، الموطأ، كتاب صلاة الجماعة، باب ما جاء في العتمة والصبح، ص 74.

[2] الإمام مالك، الموطأ، كتاب صلاة الجماعة ، باب العمل في صلاة الجماعة، ص 77.

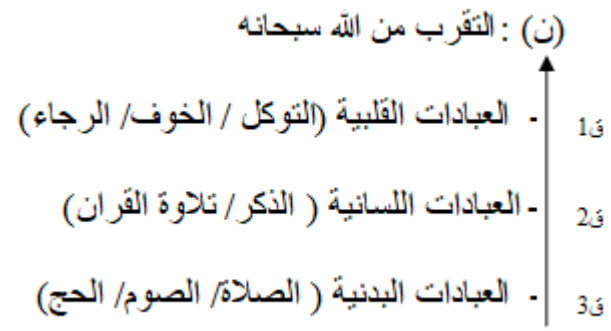

يتضح من السلم المذكور أعلاه أن العبادة القلبية أو صفة القلبية وقعت أعلى السلم فهي أقوى صفات السلم حجاجية لتحقيق النتيجة، فعبودية القلب تشمل عبودية اللسان والبدن، والعبادات الواجبة على القلب نحو: الإخلاص، التوكل، والخوف، والرجاء، والتوبة، ولكل عبادة من هذه طرفان: أصل واجب مستحق وكمال مستحب وهو درجة المقربين.[1] تليها العبادات اللسانية وهي الذكر و تلاوة القرآن، وفي باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى حدثني يحيى عن مالك عن سمى مولى أبي بكر عن أبي صالح السمان عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من قال لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شئ قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك)).[2] فمن يذكر الله تعالى فتحصيل حاصل أن يقوم بالعبادات البدنية كالطهارة والصلاة والزكاة والصيام وغيره من العبادات الأخرى .

ب- سلم مدارج الاخلاق: اشتمل كتاب الموطأ على معاني ودلالات كثيرة ومتنوعة عن الأخلاق منها: حسن الخُلُق مع الله وحسن الخُلُق مع النفس و حسن الخُلُق مع الخَلْقْ(الناس) ويمكن تمثيلها في سلم معجمي كالتالي:

[1] محمد بن حسن بن عقيل الشريف، العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين دار المجتمع لنشر والتوزيع، جدة ، ط2، 1999، ص 29.

[2] الإمام مالك، الموطأ، كتاب القرآن، باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى، ص 121.

(ن) : أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا

ق1 - حسن الخُلُق مع الله

ق2 - حسن الخُلُق مع النفس

ق3 - حسن الخُلُق مع الخلق (الناس)

نلاحظ أن هذا الترتيب الذي تدرج به سلم موضوعات الأخلاق هو ترتيب تنازلي، حيث جاءت حسن الخلق مع الله في أعلى السلم وهي الحجة الأقوى لتحقيق النتيجة، والتي تستوجب الحجج التي تليها، لأن الإنسان إذا كان خلقه حسن مع الله يستلزم أنه ذو خلق مع نفسه، ويستلزم أنه ذو خلق مع الناس، فالإنسان الذي يتلقى أحكام الله بالقبول والتنفيذ والتطبيق ويجاهد في سبيل الله ولا يدفعه شك في أخبار الله تعالى ورسوله، يستلزم أنه إنسان صادق مع نفسه، ويلزمها بالإخلاص إلى الله تعالى والرضاء بقدر الله، فمن كان متأدبا مع الله كان متأدبا مع نفسه ومع الناس.

ج- سلم مدارج الكبائر: ورد في كتاب الموطأ مدارج الكبائر بصيغ مختلفة ومتفاوتة المعاني وسنمثلها في السلم التالي:

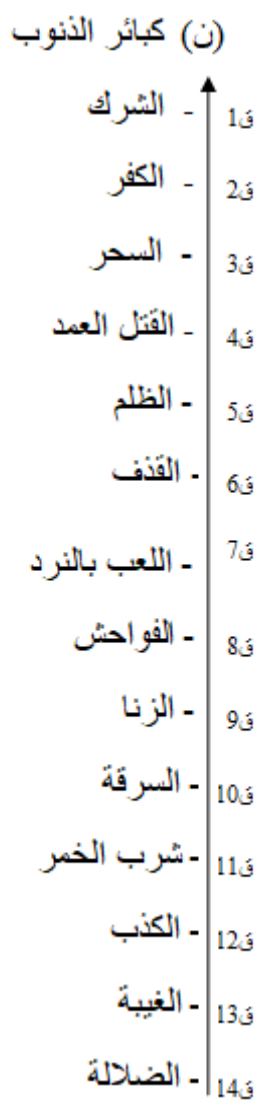

يتضح من خلال السلم الموضح أعلاه أن الشرك بالله والكفر أعلى مراتب السلم فالشرك والكفر واحد، فكل كافر مشرك وكل مشرك كافر ثم يليهم السحر وهو من الاعمال المؤدية للشرك بالله تعالى ثم القتل العمد فكل ساحر أو مستعين بالسحر في قلبه غل لدرجة القتل ثم الظلم بما يحتويه من ظلم الناس كالقذف وظلم النفس كاللعب بالنرد، كما جاء في الحديث حدثني عن مالك عن موسى بن ميسرة عن سعيد بن أبي هند عن أبى موسى الاشعري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله))[1]، أيضا ارتكاب الفواحش بأنواعها كالزنا والسرقة وشرب الخمر،في الحديث: وحدثني عن مالك عن يحيى بن سعيد عن النعمان بن مرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما ترون في الشارب والسارق والزاني؟- وذلك قبل أن ينزل فيهم- قالوا: الله ورسوله أعلم قال:

[1] – الإمام مالك، الموطأ، كتاب الرؤيا، باب ما جاء في النرد، ص 589.

هن فواحش وفيهن عقوبة ...))[1]، ثم الكذب والغيبة والضلالة قد تكون من الكبائر إذا كانت نتائجها وخيمة، وعليه فإن صفة الشرك هي الأقرب لتحقيق نتيجة كبائر الذنوب. فيكون الشرك في الدين عندما ينبذ للناس تشريعه في شؤون حياتهم، ويشرعون لأنفسهم، أو عندما يحرفون نصوصه ابتغاء مصلحة ما وكأنهم أدرى بمصالحهم من الله تعالى.[2]

2- الامور الدنيوية: احتوى كتاب الموطأ على الكثير من الأمور الدنيوية وقد اخترنا منها المعاملات المالية .

- **سلم مدارج المعاملات المالية:** وردت مدارج المعاملات المالية مختلفة في كتاب الموطأ ووقع اختيارنا على بيع الطعام تراوحت المعاني بين استوفى الطعام، قبضه، ونقله، ويمكن رسم سلم معجمي تتدرج فيه هذه المعاني كالآتي:

(ن) : عملية بيع الطعام

ق1 - النقل إلى مكان آخر

ق2 - حتى يقبضه (المشتري)

ق3 - حتى يستوفيه (البائع)

نلاحظ أن الحجج جاءت مرتبة ترتيبا تنازليا، حيث بدأ بالحجة الأقوى ثم الأضعف، فنقله إلى مكان آخر أي قد أصبح بحوزتك يستلزم أنك دفعت حقه و أن البائع قد اكتاله ونجد هذا في باب العينة وما يشبهها في الحديث الاتي: حدثني يحيى عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه)) [3]. ثم يذكر في حديث آخر وحدثني عن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يقبضه))[4]. ثم حديث يليه وحدثني عن مالك عن نافع عن عبد الله ببن عمر((أنه قال كنا

[1] الإمام مالك، الموطأ، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب االعمل في الصلاة، ص 96.

[2] ينظر :محمد رفعت زنجير، أكبر الكبائر الشرك بالله تعالى أنواعه- أسبابه- نتائجه- الوقاية منه (دراسة قرآنية موضوعية)، شبكة الألوك www.alukah.net ، ط1، 2013، ص 9.

[3] الإمام مالك، الموطأ، كتاب البيوع باب العينة وما يشبهها، ص 386.

[4] الإمام مالك، الموطأ، كتاب البيوع باب العينة وما يشبهها، ص 387.

في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبتاع الطعام فيبعث علينا من يأمرنا بانتقاله من المكان الذي ابتعناه فيه إلى مكان سواه قبل أن نبيعه))[1].

2. سلمية التقسيم البلاغي في خطاب الموطأ :

إذا كانت البلاغة – في أساسها– تهدف إلى استمالة المتلقي، والتأثير فيه بواسطة الصور البيانية وغيرها من الأساليب البلاغية،. فإنها بذلك تعد أهم الآليات الحجاجية،[2]ويكون الحجاج البلاغي من أبرز ما يتكئ عليه الكاتب في تقديم حجته، وفي هذا الجزء تناولنا كل من الاستعارة والكناية والتمثيل.

1-الاستعارة:

تتميز الاستعارة الحجاجية برغبة المتكلم في إيصال فكرة ما إلى المستمع تأثيرًا أو إقناعًا. أما الاستعارة البديعية أو الجمالية تراد لذاتها[3] وسنقدم نموذج للاستعارة باعتبارها آلية حجاجية.

وحدثني مالك عن ابن شهاب عن سالم عن عبد الله عن أن عمر بن الخطاب قال: ((من أحيا أرضًا ميتة فهي لهُ)) [4].

الفعل أحيى يقصد به في الحديث غرس الأرض وإصلاحها وعلى سبيل الاستعارة التصريحية حذف المشبه وهو الفلاح وذكر المشبه به وهو فعل الإحياء.

2-التمثيل :

ويقول فيه الجرجاني هو ما يحتاج التأول لإدراك الشبه فيه، كالقول هذه حجة كالشمس في الظهور فالتشبيه هنا لا يتم إلا بتأول يسمح بإدراكه[5] وهو برهان قوي في يد المرسل للاحتجاج به ويتجلى التمثيل في الحديث الآتي:

---

[1] الإمام مالك، الموطأ، كتاب البيوع باب العينة وما يشبهها، ص 387.

[2] أحمد حسن محمد الخرسي، حجاجية التشبيه عند الشنفرى الأزدي، صورة القوة نموذجا، دورة علمية محكمة– كلية الآداب – جامعة اسوان أكتوبر 2021، ص 17..

[3] جميل حمداوي، نظريات الحجاج، دار الألوكة للنشر، المملكة العربية السعودية، 2013 ،ص 40.

[4] الإمام مالك، الموطأ، كتاب الأقضية، باب القضاء في عمارة الموات، ص 454.

[5] محمود سليم محمد هياجنه، مصطلح التمثيل عد عبد القاهر الجرجاني، كلية العلوم والدراسات الإنسانية، الدوادمي، جامعة شقراء،2020،ص 337.

وحدثني عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنما مثل صاحب الإبل المعلقة إن عاهد عليها أمسكها و إن أطلقها ذهبت [1].

(ن) : صاحب كتاب الله

ق1 - مثل الإبل المعلقة

ق2 - أن عاهد عليها أمسكها (تلاوته والتدبر فيه)

ق3 - إن أطلقها ذهبت

وقد تم تمثيل صاحب كتاب الله بالإبل المعلقة فيبقى رفيقه إذا لازمه بالتلاوة والتدبر والاجتهاد فيه لما تعاهد الإبل في رعايتها.

3- الكناية :

الكناية في الحديث النبوي مظهر راقٍ، وتنزيه في التعبير، وتغطية المصطلحات غير الأخلاقية، والترفع عنها، وقد عرفها الإمام عبد القاهر الجرجاني بأن: يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوعي له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلًا عليه[2]، ويقول الجاحظ: « أو من البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها »[3]، وسنقدم نموذج اعتبارها أيضا آلية حجاجية:

حدثني يحيى عن مالك:أنه بلغه أنه كتب إلى عمر بن الخطاب من العراق أن رجلاً ((قال لامرأته حبلك على غاربك...))[4]

فالكناية في قوله حبلك على غاربك وهي كناية عن الفراق والطلاق، ومنح الحرية والغارب: أعلى السنام، وهذه كناية عن الفراق والطلاق، أي اذهبي حيث شئت و أصله أن

[1] الإمام مالك، الموطأ، كتاب القرآن : باب ما جاء في القرآن، ص 118.

[2] فوزي السيد عبد ربه ،المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2005،ص 238.

[3] الجاحظ، البيان والتبين، تح:.عبد السلام محمد هارون (ج1)، د ن، د ط، د ت ، ص 88.

[4] الإمام مالك، الموطأ، كتاب الطلاق، باب ما جاء في الخلية والبرية وأشباه ذلك، ص 329.

الناقة إذا رأت عليها الخطام ألقي على غاربها؛ لأنها إذا رأت الخطام لم يهْنئها شيء، [1] وبذلك التصوير للمعنى المعقول الذي لا يدركه بالحواس إلى معنى محسوس يمكن إدراكه بالحواس.

ومن خلال هذين المثالين يتضح أن الكناية والاستعارة آليتان حجاجيتان بامتياز، ويمكن أن نمثلها كالآتي :

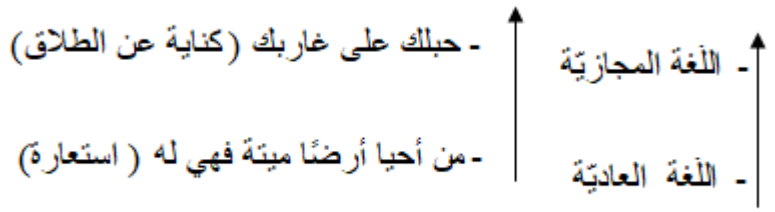

فالكناية : أي منح الحرية للمرأة في طلاقها.

فالاستعارة: أي أن الفلاح هو الشخص الأقرب لإحياء الأراضي وإصلاحها وغرسها.

نلاحظ أن الكناية والاستعارة يستعملان اللغة المجازية، وهي الأقرب في الحجاج به، ومن خلال المثال نرى أن صفة الفراق والحرية ملازمة للمطلقة، والتشبيه بالفلاح غير ملازم فقد يكون الفلاح من يحيي الأرض وقد يكون لغير الفلاح فيستلزم هذا تقديم الكناية عن الاستعارة في السلم الحجاجي واحتلال الكناية قمة السلم لأن لها تأثيرًا قويًا على المتلقي، فهي تجسد المعنى المحسوس كأنه معنى ملموس أمام المتلقي، ثم تأتي الاستعارة في الدرجة الثانية من السلم كونها تقرب المعنى لذهن بصورة دقيقة وأبلغ تأثير.

4 – أضرب الخبر:

وشأن أضرب الخبر كشأن التشبيه إذ يمكن تقسيمها تراتبيا أيضا؛ أي أن لكل منها درجة في السلم الحجاجي ونريد هنا دراسة الخبر من حيث مخاطبته لحال المخاطب أي كيف أن صاحب الخبر يأخذ في اعتباره حالة المخاطب عند إلقاء الخبر، وذلك أن ينقله إليه في سورة من الكلام تلائم هذه الحالة بغير زيادة أو نقصان[2] وقد قسم البلاغيون الخبر إلى

[1] أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، تح : محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية،ج2،د .ط، 1955، ص 196.

[2] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص 20.

ثلاث مراتب (ابتدائي، طلبي،إنكاري)، ومن هذا يمكن دراسة هذه الأضرب ضمن سلمية اللغة كما في الشكل :

ق1 - الإنكاري: هو ما قام على أكثر من مؤكّدين
ق2 - الطّلبي : هو ما خلا من المؤكّدات
ق3 - الابتدائي : هو ما قام على مؤكّد واحد

أ – حدثني عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه))[1].

ب – حدثني عن مالك أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تحل صداقة لآل محمد إنما هي أوساخ الناس))[2].

لو لاحظنا هذه الأحاديث لوجدناها اشتملت على ثلاثة أضرب للخبر يمكن تمثيلها في السلم التالي:

(ن) : التعفف عن السؤال

ق1 - ((والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره...)) إنكاري
ق2 - ((إنما هي أوساخ الناس)) طلبي
ق3 - ((لا تحل الصدقة لآل محمد)) ابتدائي

تصدر الحديث الأول أعلى السلم ففيه أراد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يؤكد على قيمة الاستغناء عن الخلق والعفة والسعي وبذل المجهود لكسب المؤمن رزقة العمل، وإن كان شاقا فهو أرحم من مذلة السؤال فوظف ثلاثة مؤكدات : القسم(والذي نفسي بيده)، لتقوية الأمر وتأكيده، واللام المشعرة بالقسم أيضا (لأن يأخذ)، صيغة التفضيل (خيرا له)،

[1] الإمام مالك، الموطأ، كتاب الصدقة، باب ما جاء عن التعفف عن المسالة، ص 613.

[2] الإمام مالك، الموطأ كتاب الصدقة، باب ما يكره من الصدقة، ص 614.

أما الحجة الثانية لقد احتجت إلى توظيف مؤكد واحد وهو إنما لتأكيد النهي عن السؤال والحجة الأخيرة احتوت على خبر ابتدائي خال من المؤكدات فشرف النبوة ومقام النبي صلى الله عليه وسلم ومكانته تغنيه عن السؤال.

3. سلمية التركيب النحوي في خطاب الموطأ:

إن التركيب النحوي للجملة يوفر تراتبية حجاجية للنصوص حسب المقام، وخرق هذا الترتيب يؤدي إلى إذعان المتلقي، وللخرق أشكال عديدة في التركيب النحوي، ولكن أردنا التركيز في دراستنا هذه على الحذف.

- الحذف :

يعد الحذف أحد العوامل الأساسية التي تساعد في تماسك النص، وإيصال المعنى بدقة، وهو أبلغ من التصريح، ففي هذا الأمر يقول عبد القاهر الجرجاني: « هو باب دقيق المسلك...أفصح من الذكر والصمّت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذ لم تنطق وأتمّ ما تكون بيانًا إذا لم تبيّن ».[1]

ومن تجليات الحذف في كتاب الموطأ:

وحدثني مالك أنه بلغه أنه قيل للقمان ما بلغ بك ما نرى ؟ – يريدون الفضل– فقال لقمان: صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني.[2]

ففي هذا الحديث حذف المبتدأ، والتقدير [هو صدق الحديث وأداء الامانة]، وفي هذا الحذف استغناء عن ذكر المسند إليه والمقدر بالضمير المنفصل [هو] الذي تعود دلالته على لقمان الحكيم، ومع كون هذا الأخير من الأركان الأساسية في الجملة إلا أنه يمكن الاستغناء عنه، وذلك لوجود قرينة تدل عليه وهي قرينة السياق.

ونستطيع تمثيل هذا في السلم التالي:

---

[1] الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني، تح : ياسين أيوب المكتبة العصرية، (دط– دت) ، ص 163.

[2] الإمام مالك، الموطأ، كتاب الكلام، ما جاء في الصدق والكذب، ص 607..

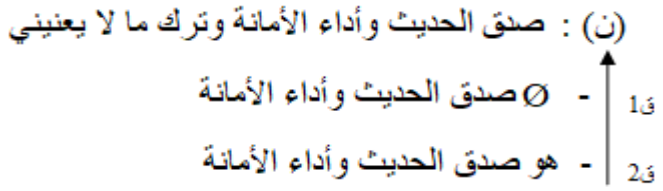

يتبين من السلم الموضح أعلاه أن الجملة التي على المحذوف [صدق الحديث وأداء الأمانة] احتلت أعلى مراتب السلم بصفته اختيار من لقمان الحكيم ، والمقدر أدنى السلم بصفته لم يذكر إلا أنه حاضر في الذهن.

وقد يحذف الفعل أيضًا من نصوص الحديث في كتاب "الموطأ"، وذلك لوجود قرينة تدل عليه، وهي وجود فعل في سياق الحديث يفسره الفعل المحذوف كما جاء في هذا الحديث : حدثني يحيى عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :((اللّهُم ارْحم الْمُحلقين)) قالُوا : والمُقصرين يا رسُول الله، قال : ((اللّهُم ارْحم الْمُحلقين)) قالُوا: والمقصرين يا رسول الله، قال : ((والمقصرين)).[1] وهذا ما يوضحه السلم التالي:

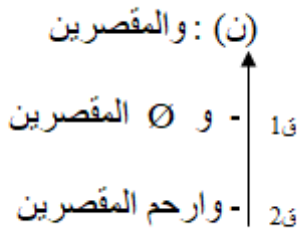

يتبين من هذا السلم أن الجملة التي على المحذوف [والمقصرين] احتلت أعل السلم بوصفها اختيارًا من قبل الرسول عليه الصلاة والسلام، والمقدر أدنى السلم بصفته لم يذكر إلا أنه حاضر في الذهن.

4. سلميّة الصّرف في خطاب الموطأ:

إنما توفّره اللغة من « صيغ صرفية من اسم فاعل وأسماء التّفضيل والصّفة المشبهة وصيغ المبالغة يؤكّد سلّمية اللّغة، فاسم الفاعل أقلّ تعبيرًا عن المعنى من الصفة المشبّهة الّتي تدلّ على ملازمة الموصوف للصّفة، وصيغة المبالغة أقوى منهما لاحتوائها على مقولة

[1] الإمام مالك، الموطأ، كتاب الحج ،باب الحلاق، ص 279.

العدد والكثرة لذلك كانت عمليّة إنتاجها تقتضي زيادة خاصّة وذلك من خلال مقولة التضعيف والحركة الطّويلة. وليس النظام الصيغي وحده يقوم على السلّمية بل إنّ الأمر يتجاوزه إلى نوعية الجموع في العربية (جمع قلّة، جمع الجمع، جمع كثرة) إلى أصناف الحركات قوة وضعفا ».[1] وكمثال على ذلك نضرب الأمثلة التّالية:

أ – حدثني مالك عن صفوان بن سليم أنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيكون المؤمن جبانًا فقال (نعم) فقيل له أيكون المؤمن بخيلًا فقال(نعم) فقيل له أيكون المؤمن كذابا فقال (لا)[2].

ففي هذا المثال يوجد صفتان وهما كذاب وكاذب؛ فصفة المبالغة "كذاب" تمثل سلمًا حجاجيًا، وتحتل فيه هذه الصيغة الحجة الأعلى درجة فهي دالة على الاحتراف في الكذب، فيما يكون اسم الفاعل "كاذب" منها الحجة الأدنى، لأن اسم الفاعل أقل تعبيرًا عن المعنى فهو دال عن من قام بالحديث فالكاذب قد يكذب في وقت محدود وينهي عن ذلك ،وعليه نصل إلى النتيجة الحجاجية التي مفادها الاحتراف في الكذب. ويمكن رسم السّلم كالآتي:

(ن) : الاحتراف في الكذب

ق1 - كَذّابٌ

ق2 - كاذِب

ب – قال مالك في الذي يصيبه زحام يوم الجمعة فيركع ولا يقدر على أن يسجد حتى يقوم الإمام أو يفرغ الإمام من صلاته: ((أنه إن قدر على أن يسجد إن كان قد ركع فليسجد إذا قام الناس وإن لم يقدر على أن يسجد حتى يفرغ الإمام من صلاته فإنه احَبُّ إلي أن يبتدئ صلاته ظُهْرًا أرْبَعًا))[3].

هناك تراتبية للفاضل والمفضول؛ ويحتلّ الفاضل أعلى السّلم فيما يحتل المفضول أسفله في الدلالة على النتيجة المراد الوصول إليها. وعليه يمكن رسم سلم كالتالي من خلال المثال السابق

[1] عز الدّين الناجح، العوامل الحجاجية في اللّغة العربية، ص 126.

[2] الإمام مالك، الموطأ، كتاب الكلام، باب ما جاء في الصدق والكذب، ص 607.

[3] الإمام مالك، الموطأ، كتاب الجمعة، باب ما جاء فيمن أدرك ركعة يوم الجمعة، ص 60.

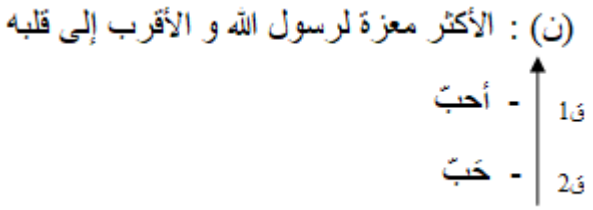

فاسم التفضيل "أَحَبُّ" يصف سلما حجاجيًا، أدناه "حَبَّ"، وحابٌ لعموم الأشخاص وأعلاه معزة لرسول الله أَحَبُّ، فالوظيفة الحجاجية استدعت استخدام هذه الصيغة لأنها شحنة حجاجية قوية للوصول إلى النتيجة مفادها الأكثر معزة لرسول الله والأقرب لقلبه الأكثر إتباعا لسنته.

ج – حدثني عن مالك عن يزيد بن عبد الله بن قسيط الليثي عن سعيد بن المسيب تنه كان يقول: ((ذكاة ما في بطن الذبيحة في ذكاة أمه إذا كان قد تم خلقه ونبت شعره))[1].

فالصفة المشبهة "ذبيحة"تمثل سلمًا حجاجيًا، وتحتل فيه هذه الصيغة الحجة الأعلى درجة؛ فهي دالَّة على لزوم وثبات هذا الوصف للحيوان الذي سيتم ذبحه ، فيما يحتل اسم المفعول "مذبوح" الحجّة الأدنى في السّلم لأنه دال على من وقع عليه الذبح فحسب. ويمكن تمثيل السّلم كالآتي :

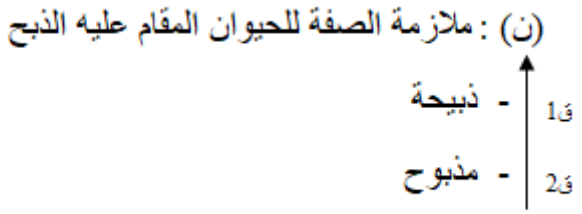

أيضا بالنسبة للجموع نذكر المثال الآتي: قال مالك وإذا أسلم الرجل قبل امرأته وقعت الفرقة بينهما إذا عرض عليها الإسلام فلم تسلم[2] لأن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه:{ولا تمسكوا بعصم الكوافر}[3].

فقد استعملت في خطاب الموطأ مصطلح كوافر ولم تستعمل مصطلح كافرات لأن كوافر جمع تكسير وهو أعم وأشمل من كافرات وهو جمع القلة. ويمكن رسم السلم كالآتي:

---

[1] الإمام مالك، الموطأ، كتاب الذبائح، باب ذكاة ما في بطن الذبيحة، ص 289.

[2] كتاب النكاح، باب نكاح المشرك إذا أسلمت زوجته قبله، ص324..

[3] الممتحنة، الآية : 10.

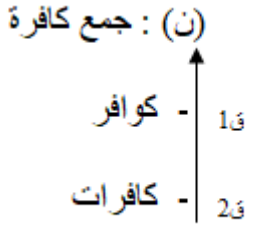

وعليه نرصد السلم الآتي:

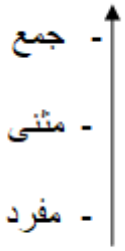

ولئن كانت السلمية في المعجم يكشفها المرجع والوظيفة المرجعية للغة، فإن سلمية النظام الصرفي تكشفه المفردة في حد ذاتها في مستوى تكونها، وذلك بزيادة بعض الصرافم إلى الجذع الذي تقع عليه الزيادة، وكل زيادة تؤدي إلى زيادة معنى جديد نصطلح عليه بتعميق دلالة اللفظ في السلم.[1]

أي أن الانتقال من صيغة إلى أخرى بالزيادة أو النقصان إنما هي انتقال من درجة إلى أخرى في السلم.

[1] عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 127.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث الذي تناولنا فيه السلالم الحجاجية في خطاب "الموطأ" لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي نسجل مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها، والتي من أبرزها :

- الحجاج من أبرز وأوسع أشكال التواصل ولا يكون هذا التواصل فعالًا وناجحًا، إلا إذا حقق الغاية المرجوة وهي الإقناع أو الاقتناع.
- عمل الحجاج على فك الشفرات الغامضة في النص ويحلل العلاقة بين المكونات الداخلية (الأسلوب واللغة) ،والمكونات الخارجية (المقام وأحوال المتلقي).
- مرجع اهتمام الدارسين الغرب والعرب قديمًا وحديثًا بالحجاج إلى الحضارة اليونانية (سقراط أفلاطون أرسطو)،وأول ما ظهر عند العرب تطبيقه على الدراسات القرآنية والنبوية ومنه ارتكزت الدراسات الحديثة على هذا الموروث.
- أن العلاقات الحجاجية تكون متفاوتة في قوتها بحسب القوة الحجاجية لكل حجة، إذ ثم علاقة بين التراتب الحجاجي والقوة.
- إبراز جوانب حجاجية مهمة للغة العربية من خلال سلميتها في مستويات عديدة من الحديث الشريف.
- تشكل الإقناع عند الإمام مالك وتعدد وسائله اللغوية، والسلم الحجاجي من الوسائل اللغوية التي أسهمت بقوة في تحقيقه.
- قيام السلمية الحجاجية في أحاديث "الموطأ" على قواعد قوية ومتينة من الأحكام والجودة في تراكيبها وقوة مقدماتها ونتائجها.
- اعتماد الإمام مالك في خطاب "الموطأ" على التراتبية التنازلية في طرح مواضعه، حيث ابتدأ بالفرائض ثم عرض بقية الموضوعات بطريقة مترابطة ومتسلسلة، بداية من الأكثر أهمية والتي تعتبر الأصول في الدين إلى كافة مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية...إلخ.
- حفاظ الإمام مالك على سلم الفرائض بالصلاة وختمه بالحج وبينهما الزكاة والصيام فجاء في أعلى السلم عمود الدين وفي أدناه فريضة الحج وهي لمن استطاع إليه سبيلا.

- تصدُّر وقوت الصلاة المرتبة الأولى في تراتبية الصلاة ثم الطهارة فالصلاة . فدخول الوقت علامة لأداء الصلاة والطهارة لا تصح الصلاة إلا بها.
- انتقاء الإمام مالك الأحاديث وفق ضوابط ومعايير واضحة في الاستدلال، فقد استدل بالقرآن الكريم الذي احتل المرتبة الأولى في سلمية مصادر التشريع، ثم تليه السنة النبوية فالإجماع فالقياس ثم بقية المصادر الأخرى.
- اعتماد أصح الأسانيد التي جاءت في "الموطأ" هي: مالك عن نافع عن ابن عمر، فالإمام مالك بينه وبين الرسول عليه الصلاة والسلام رجلان فقط،ولأن القرب إلى الإسناد هو قرب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .
- معرفة منظري المسلمين من الأصوليين وغيرهم التصانيف السلمية منها الأحكام الشرعية يترتب عنها: الواجب والحرام في طرفي السلم، والمندوب والمكروه وبينهما المباح.
- جلّ أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – ذات طبيعة حجاجية فالرسول عليه الصلاة والسلام جاء لتبليغ رسالته و إقناع أصحابه، فقد وظف التمثيل والاستعارة والكناية صورًا مساعدة لإقناع سامعيه.
- تعدد التراكيب النحوية والصرفية في كتاب "الموطأ" قصد إقناع المتلقي، وقد اتضح من خلال هذه النتائج التي بسطناها، أنها تقوم على موضوع جوهري يتعلق بإكمال الدين وإتمامه.

وأخيرًا يمكن القول إن البحث في السلالم الحجاجية في خطاب "الموطأ" كشف لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم في كل حديث يقوله يسلك طريقًا حجاجيا، أقواله متسلسلة، مرتبة على حسب قوتها تدفع المتلقي إلى الإقناع والاقتناع معًا؛أي التأثير الفكري والعملي وتغيير الحال.

ونأمل أن يكون بحثنا مفتاحًا تفتح به مسالك أخرى في السنة النبوية، ونشرها وتفعيلها خير وأنفع من الدراسات الحجاجية في الكتب الأجنبية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

❁ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أ. الكتب:

1. أحمد حسن محمد الخرسي، حجاجية التشبيه عند الشنفرى الأزدي، صورة القوة نموذجا، دورة علمية محكمة– كلية الآداب – جامعة اسوان أكتوبر 2021.
2. أحمد فريد، من أعلام السلف، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، إسكندرية، ط1، 1998.
3. الأزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، مطبعة الرمال، الوادي، الجزائر، د ط، 2020.
4. أوزفالد ديكرو، السلميات الحجاجية، تر: الأستاذ الدكتور أبو بكر العزاوي، وراقة بلال، فاس–المغرب، ط1، 2020.
5. باسم خيري خضير، الحجاج وتوجيه الخطاب، مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباته، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2019م.
6. أبو بكر العزاوي، من المنطق إلى الحجاج، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ، ط 1، 2016.
7. إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط 1، 1950.
8. بلخير أرفيس، في تداوليات الخطاب، دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب، البدر الساطع للطباعة والنشر،ط1، 2020.
9. توبي لحسن، الحجاج والمواطنة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، ط 1 ،2014.
10. الجاحظ، البيان والتبين، تح: عبد السلام محمد هارون ج1، د ن، د ط، د ت ،
11. الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني، تح : ياسين أيوب المكتبة العصرية، د ط– د ت.
12. جميل حمداوي، نظريات الحجاج، دار الألوكة للنشر، المملكة العربية السعودية، 2013 .

13. حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، لبنان،ط1، 2010.
14. الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، تح : السيد معظم تحسين، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، د ط، 1935.
15. الحسن المودن بلاغة الحجاج بالايطوس والباطوس، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان–الأردن ط1–202م.
16. رشيد الراضي، الحجاج والبرهان، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن، ط 1، 2010م.
17. رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، من الحوار في العقل الى العقل في الحوار، ط 1، دار الكتاب الجديد المتحدة،2010.
18. رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، عالم الفكر، العدد1، يوليو سبتمبر 2005.
19. الرضي الأستراباذي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: يحي بشير مصري، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة السعودية، ط1، 1996م.
20. زكريا السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد ، الأردن، ط1، 2014م.
21. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط 2 ،2011.
22. ابن سيده ، المحكم والمحيط الأعظم ، تح : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، لبنان ، د ط ، مادة حجج.
23. شاييم بيرلمان، الامبراطورية الخطابية، صناعة الخطابة والحجاج، تر: حسين بنو هاشم، الكتاب الجديد، بغازي – ليبيا، ط1، 2022.
24. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ ،دار المعارف، القاهرة–مصر، ط1.
25. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2000.

26. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998 .
27. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار، وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط 3، 2007.
28. عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال القديمة مقاربة سردية تداولية، كنوز المعرفة، الأردن، ط 1، 2015 .
29. عبد الغني الدقر، الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، دار القلم – دمشق، ط3، 1998.
30. عبد الله البهلول، الحجاج الجدلي خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي، ط1، 2013.
31. عبد الحسن علي، حبيب شبيب الناصر، الخطاب الحجاجي لأهل البيت في كتاب الاحتجاج دراسة تداولية، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، ط1، 1439هـ-2018م.
32. عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2010 .
33. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب والإنسانيات، تونس، ط1، 2001م.
34. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2014.
35. عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016 .
36. عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، ط1- 2009.
37. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،،دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004م.

38. عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م.
39. علاونة محمد الأمين، مبادئ في الدرس الحجاجي، دار المجدد للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت.
40. علي الجرجاني، معجم التعريفات، تر: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د ط، د ت.
41. فضل الميداني، مجمع الأمثال، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية،ج2، د ط، 1955.
42. فوزي السيد عبد ربه ،المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2005م.
43. فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ط1،2011.
44. القيم ، كتاب الصلاة، تح: عدنان بن صفا خان البخاري، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط1، 1431هـ .
45. مالك بن أنس الأصبحي، الموطأ، تح: عبد الرؤوف سعد، شارع جوهر، القاهرة، د ط، 93هـ-179م.
46. مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة- الجزائر،ط1، 2015.
47. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة، ط3، 2004.
48. محفوظ الرحمن الفيضي، ثنائيات موطأ الإمام مالك – رحمه الله-، لطائف لنشر الكتب والرسائل العلمية، الكويت، ط1، 2016.
49. محمد العمري، البلاغة أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق، بيروت- لبنان،1999م.
50. محمد بن جميل زينو، أركان الإسلام والإيمان من الكتاب والسنة الصحيحة، دار الحديث الخيرية ، ط 5 ، د ت.

51. محمد بن حسن بن عقيل الشريف، العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين دار المجتمع لنشر والتوزيع، جدة ، ط2، 1999.
52. محمد بن مطر الزهراني، تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، دار الهجرة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،ط1، 1996.
53. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت–لبنان،2008.
54. محمد صادق الأسدي، تداولية الخطاب الديني في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة،ط1، 1439هـ–2018م.
55. محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة ، ط1، 2005.
56. أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ مكي، دار الفكر، مصر، ط3، د ت.
57. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط1، د ت، مادة حجج.

ب. المجلات والدوريات:

58. أسمهان سهل كاظم، محمد عبد مشكور الكعبي، السلالم الحجاجية و مستوياتها في كتب المجالس النحوية، حوليات آداب عين الشمس ، بغداد – العراق، العدد يوليو–سبتمبر، مج 49.
59. شعبان أمقران، تقنيات الحجاج في البلاغة اليونانية القديمة مقاربة لمشروع. السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو، اللسانيات، جامعة باجي مختار عنابة،الجزائر،العدد31، 2019.
60. صبرى إبراهيم أحمد، منهج الإمام مالك في تأليف الموطأ، حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر بالمنوفية، العدد 33، 2014.
61. عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، الجزائر،العدد9، 2013.

62. عبد العظيم الدخري، الإمام مالك ومنهجه في الموطأ، مجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات العربية والإسلامية، جامعة الإمام المهدي السودان، العدد 8 ،2014.

63. عبد القادر سليماني، موطأ مالك بن أنس رحمه الله، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، الجزائر، العدد4، 2007 .

64. محمد بن عبد الله الوزره الدوسري، تفسير الصحابي الجليل معاذ بن جبل، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، يناير 2012.

65. محمد تركي كتوع، تحول المندوب إلى واجب في الفقه الإسلامي: أسبابه- تطبيقاته، مجلة جامعة الشارقة دورية علمية محكمة، جامعة الشام العالمية، سوريا -حلب- المجلد 15، العدد 1، 2018.

66. محمد حمودي، الحجاج واستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد12، 2012.

67. محمد رفعت زنجير، أكبر الكبائر الشرك بالله تعالى أنواعه- أسبابه- نتائجه- الوقاية منه دراسة قرآنية موضوعية ، شبكة الألوكwww.alukah.net ، ط1، 2013.

68. محمود سليم محمد هياجنه، مصطلح التمثيل عد عبد القاهر الجرجاني، كلية العلوم والدراسات الإنسانية، الدوادمي، جامعة شقراء،2020.

69. مسعودة الساكر، الروابط الحجاجية في القران الكريم/ نمادج مختارة مقال مجلة الآداب-جامعة الشهيد حمه لخضر -الوادي-الجزائر،2021،العدد1،-saker .messaouda@univ-eloued.dz

70. نجيب راشد، أسانيد موطأ الإمام مالك رحمه الله، مجلة الأصالة مجلة علمية محكمة، جامعة الزاوية- ليبيا- العدد7،2023.

71. محمد أمعيط، الروابط والعوامل الحجاجية في المناظرة السياسية مناظرة على الخوارج أنموذجا -دراسة حجاجية-مقال كلية اللغات والآداب والفنون جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب، العدد7، 2021.

ج. الرسائل الجامعية:

72. بوسلاح فايزة، السلالم الحجاجية في القصص القرآني- مقاربة تداولية - أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات ،قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران1 احمد بن بلة،2014-2015.

73. الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال حجاجي عناصر استقصاء نظري، مقال، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية، في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، ط1-2010.

74. حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الحجاجي في كليلة ودمنة لابن المقفع، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية اللسانيات واللغة العربية، محمد خيضر بسكرة،2015م-2016م.

75. راضية باي وآخرون، السلالم الحجاجية في السور المسبحات من القرآن الكريم، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، في اللغة والأدب العربي، لسانيات عامة، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي،1444هـ-2023م.

76. زهية محمدي، البنية الحجاجية في المناظرة بين العلم والجهل لمحمد بن عبد الرحمن الديسي، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر، أدب جزائري، جامعة بوضياف-المسيلة،1439-1440هـ/ 2018-2019م.

ملخص الدراسة

يتناول بحثنا الموسوم بالسلالم الحجاجية في خطاب" الموطأ لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي" على فعالية السلم الحجاجي في خطاب الموطأ ودوره في تراتبية الحجج على تفعيل عنصري من أجل إثبات قدرته في التأثير والإقناع، وقد تطرقنا فيه إلى توضيح معالم السلم الحجاجي المطلق؛ سلالم الموضوعات العامة، ثم السلم الحجاجي المقيد؛ حيث سلطنا الضوء على فعالية كل من السلم الحجاجي المعجمي والبلاغي والتركيبي والصرفي من جهة إثبات إسهامها في تعاضد الحجج وتكاملها لتحقيق الهدف المرجو من توظيفها.

الكلمات المفتاحية : السلالم الحجاجية، خطاب الموطأ، سلالم الموضوعات العامة، المعجمي ،البلاغي، الصرفي، التركيبي.

summary

In our research, we discussed the effectiveness of the Hajj ladder in the AL-muwatta speech by Abu Abdullah Malik bin Anas al-asbhi on the effectiveness of the Hajj ladder in the AL-muwatta speech and its role in the hierarchy of arguments on the activation of an element in order to prove its ability to influence and convince, in which we touched upon clarifying the features of the absolute Hajj ladder; ladders of general topics, then the restricted Hajj ladder; where we highlighted the effectiveness of each of the lexical, rhetorical, compositional and morphological Hajj ladder in terms of proving its contribution to the synergy of arguments and their integration to achieve the desired goal of their employment.

Keywords: Pilgrim ladders, foothold speech, ladders of general topics, lexical, rhetorical, morphological, synthetic

فهرس الموضوعات

الشكر والعرفان.....

مقدمة.....أ-ج

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي للبحث

توطئة..... **6**

أولا: الحجاج **6**

.1مفهوم الحجاج:.....6

.2الحجاج والبرهان والاستدلال:.....10

3.الحجاج بين الدراسات القديمة والحديثة:.....14

4.التداوليات المدمجة:.....27

ثانيا: السلالم الحجاجية:.....**27**

1.مفهوم السلم الحجاجي:.....28

2.قوانين السلم الحجاجي:.....28

3.وسائل السلم الحجاجي: 31

.4مستويات السلّم الحجاجي:.....34

الفصل الثاني: سلالم الموضوعات المطلقة والمقيدة في خطاب الموطأ

أولاً : ترجمة موجزة للإمام مالك: 46

1- اسمه ونسبه ومولده :.....46

2 – شيوخه وتلاميذه : 46

3- أقوال العلماء فيه:.....47

4- مؤلفاته ووفاته:.....47

ثانيًا: التعريف بكتاب الموطأ :.....48

1 – الموطأ في اللغة:.....48

3 – شروح الموطأ :.....49

4 – رواة الموطأ :.....49

5 – ثناء العلماء عليه :.....50

ثالثًا : تراتبية المعاني العامة وتطبيقاتها في خطاب الموطأ.....52

1. تراتبية الموضوعات العامة في خطاب الموطأ:.....53
2. تراتبية سلالم موضوعات الصلاة في خطاب الموطأ : 55
3. تراتبية الأسانيد في خطاب الموطأ:.....58
4. تراتبية الأحاديث من حيث الصحة في خطاب الموطأ :.....60

رابعًا : تراتبية المعاني الخاصة وتطبيقاتها في خطاب الموطأ.....62

1. سلمية المعجم في خطاب الموطأ:.....62
2. سلمية التقسيم البلاغي في خطاب الموطأ : 68
3. سلمية التركيب النحوي في خطاب الموطأ.....69
4. سلمية الصرف في خطاب الموطأ.....70

خاتمة.....**77**

قائمة المصادر والمراجع.....**79**

تمت بحمد اللّٰه